الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص : تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

مذكرة لنيل شهادة ماستر الموسومة ب:

طرابلس الغرب أثناء التواجد العثماني الثاني

(1835-1911م)

من إعداد الطلبة:

- لصنـــام ابراهيم
- سيفاوي زوليخة

إشراف الأستاذ:

. بوعناني العربي

أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة	
الأستاذ: زاهـــي محمـــد	**رئيسا**
الأستاذ: بكاري عبدالقادر	**مناقشا**
الأستاذ: بوعناني العـــربي	**مشرفا**

السنة الجامعية: 2017-2018 م

شكـــر وعـــرفان

الحمد لله رب العالمين والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا على انجاز هذه المذكرة وصلى الله على نبينا المصطفى الذي بذكره تتم الصالاحات .

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هدا لعمل ونخص بالذكر ألاستاذ المشرف على هده المذكرة الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا لبحثنا هدا .

وبفائق الشكر والاحترام لجميع أساتذتنا الكرام الدين رافقونا طوال مشوارنا الدراسي وأوصلونا إلى ما نحن عليه اليوم .

إليهم فائق الاحترام والتقدير .

الإهـــــداء

أهدي جهدي وعملي هدا المتواضع إلى من أضاءت لنا درب الحياة بنور الأخلاق والتربية الفاضلة وأهدت لنا زهرة شبابها ، إلى من علمتنا أن العلم تواضع وعبادة وإيمان ونجاح .

إلى أمي الغالية رقية والى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل الذي لم يبخل علينا بنصيحة أو بتشجيع إلى من لا طعم للحياة بدونه أبي الحنون أحمد .

إلى إخوتي وأخواتي فتح الدين ،جمال ، خليل، سعاد، تركية، إيمان بثينة.

إلى الكتاكيت الصغار الطيب، عبد النور، ملاك ، رهف .

إلى صديقاتي حياة، نعيمة والى أصدقائي رشيد ، محمد، إبراهيم والى كل من ساعدني في انجاز هدا العمل .

زولـــيخـــة

الإهـــــداء

إلى الذي علمني أن جمال المؤمن إخلاصه وزينة صدقه، أبي الكريم أدامه الله لنا في الحياة.

إلى أمي التي تعبت لنرتاح ومرضت لنصح، أمي الغالية حفظها لنا الله .

إلى ابن خالتي المرحوم سفيان رحمه الله واسكنه فسيح جنانه

إلى إخوتي وأصدقائي إلى جميع أساتذة تاريخ والى الأستاذ المشرف العربي بوعناني تحية خاصة.

إبراهيـــم

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
تح	تحقيق
ص	الصفحة
ج	الجزء
د ب ن	دون بلد النشر
د س ن	دون سنة
مرا	مراجعة
د ط	دون طبعة
ط	الطبعة

مقدمة

مع مطلع القرن التاسع عشر بدأ الاستعمار الأوروبي الحديث يشد رحاله نحو قارتي إفريقيا وآسيا، وكانت الجزائر الضحية الأولى لهذا الاستعمار و لم يمض زمن طويل حتى سقطت بلدان عربية أخرى في قبضة الهجمة الاستعمارية الشرسة القادمة من الضفة الشمالية للبحر المتوسط و من غرب أوروبا و التي مثلتها عدة دول أوروبية و في مقدمتها فرنسا وبريطانيا و إسبانيا و إيطاليا و قد بلغت هذه الهجمة أوجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث سقطت كل من تونس و مصر و ليبيا و مراكش هي الأخرى فريسة في أيدي الاستعمار الأوروبي المباشر .

أمام هذا التحدي الإستعماري كان لازما على الدول و شعوب المنطقة أن تقف في سبيل هذه التحديات و تعمل بشتى الوسائل من اجل تخليص بلدانها و إفشال المخططات الاستعمارية، و لقد تعرضت طرابلس الغرب كغيرها من الدول الإفريقية من الغزو الأوروبي الذي مارس فيها سياسة العنف والإضطهاد على سكانها هذا ما أدى بأهاليها للإستنجاد بالقوى الإسلامية الناهضة في ذلك الوقت و المتمثلة في الخلافة العثمانية .

حيث إستولت الأسرة القرمانلية على حكم البلاد و التي يمكن أن نحدد بدايتها سنة 1711م و هي السنة التي تولى فيها أحمد باشا القرمانلي الحكم و كذلك نهايتها 1835م وهي السنة التي إنتهى فيها حكم هذه الأسرة التي كانت مستقلة عن الخلافة العثمانية.

لقد تداول على الحكم هذه الأسرة مجموعة من الحكام الذي كان الحكم فيهم وراثايا و من أهمهم يوسف القرمانلي الذي تميز عهده بالرخاء و التطور كما شهدت فترة حكمه أهم حدث و هي دخول في حروب مع الدول الأوروبية، غير أن هذا لم يستمر طويلا و ذلك لأنه لم يواصل في نفس السياسة في أواخر عهده منصرفا إلى حياة البذخ منشغلا بملذاته

وهذا ما أدى الى ضعف حكمه وتنازله عن الحكم لصالح إبنه علي باشا القرمانلي كما شهدت الأسرة القرمانلية أواخر عهد يوسف باشا أحداث هامة ولعل أهم تلك الأحداث الداخلية و الممتثلة في ذلك الصراع الأسري بين أفراد الأسرة من أجل الوصول إلى الحكم بالإضافة إلى تلك الثورات الداخلية التي إجتاحت البلاد ونظرا لهذه الظروف المحرجة

التي أصبحت تتخبط فيها الإيالة من الصراعات الداخلية وتدخل الخطير الأوروبي سارعت الدولة العثمانية إلى إنهاء هذه الأسرة و ذلك بإرسال حملة بقيادة نجيب باشا سنة 1835م وكان أول والي تركي في العهد العثماني الثاني الذي قام بإنهاء الأسرة وإعلان نفسه واليا على طرابلس الغرب ومن خلال هذا تعدد الولاة على طرابلس الغرب

حيث تتابع على حكم ليبيا حوالي 33 واليا وبلغ بهم الأمر إلى أن تولى في السنة الواحدة عدد من الولاة.

كما تفاقمت الثورات في طرابلس وفزان وكان لهذا أثر كبير على الأتراك لكن العثمانيون تمكنوا من القضاء عليها والسيطرة على سواحل طرابلس الغرب وعليه فقد ظهرت المقاومات الوطنية المسلحة التي حمل لوائها قادة عظماء وأبطال أشاوس مثلوا مجتمعاتهم أحسن تمثيل، وكان للحركات والطوائف الصوفية دور لا يستهان به في المقاومات، غير أن هناك حركة صوفية لعبت هي الأخرى دورا كبيرا في مقاومة الإستعمار الأوروبي وأقضت مفاجأة في منطقة المغرب العربي وهي حركة لازال الكثيرون من أبناء المنطقة يجهلونها ويجهلون الدور الذي قامت به، ويتعلق الأمر بالحركة السنوسية التي إستطاعت أن تسجل إسمها بحروف من ذهب في سجل التاريخ المغاربي والسنوسية دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية روحية على أساس الكتاب والسنة في ليبيا وعمت مراكزها الدينية شمال إفريقيا والسودان و الصومال وبعض البلاد الإسلامية .

أما بالنسبة للغزو الإيطالي والإعتداءات قد خلق وعيا قويا في الشعب الليبي وأخرجه إلى ساحة الأحداث الدولية كالطرف الرئيسي الصراع الإيطالي التركي .

- الإشكالية :

و انطلقنا في دراسة هذا الموضوع من الإشكالية التالية :

.بماذا تميز التواجد العثماني الثاني في طرابلس الغرب ؟

وقد تفرعت من هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها:

- ما هي العوامل التي أدت إلى سقوط الأسرة القرمانلية؟
- كيف صارت الحملة العثمانية ضد طرابلس الغرب؟
- ما أبرز ردود الأفعال عن هذا التواجد؟
- من هي الحركة السنوسية ومن مؤسسها وما الدور التي لعبته؟
- من هي أبرز الشخصيات التي قاومت هذا التواجد؟
- ما هي الدوافع التي قام عليها الغزو الإيطالي لليبيا؟

أهمية البحث :

تتجلى أهمية الموضوع في كون أن التواجد العثماني للمرة الثانية في طرابلس الغرب سنة 1835م غير الكثير من الأوضاع في البلاد و أيضا في البحر الأبيض المتوسط و أيضا غير من نظرة الدول الأوروبية إلى طرابلس الغرب بعد هذا التواجد الثاني العثماني .

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في مجموعة من النقاط التالية .

- معرفة كل الأحداث التي مهدت إلى التواجد العثماني الثاني في طرابلس الغرب.
- عرض التطورات الداخلية والخارجية التي إستقر عليها هذا التواجد .
- التعرف على الزعامات الليبية و نضالها ودورها ومعرفة أهم ما قاموا به.
- معرفة كيف كان هذا التواجد الثاني وأسباب سقوطه أمام الغزو الإيطالي.

دواعي إختيار الموضوع :

إن التوجه إلى دراسة هذا الموضوع لم يكن من العدم و إنما كان لمزيج من الأسباب الذاتية و الموضوعية يمكن إيجازها في ما يلي :

أ) الذاتيـــة:

- حبنا لتاريخ الدولة العثمانية و خاصة تواجدها في شمال إفريقيا.
- الرغبة في معرفة تاريخ طرابلس الغرب أثناء هذه الفترة.

- أيضا محاولة منا إبراز الدور الكبير الذي لعبته طرابلس الغرب في البحر الأبيض المتسوط وتسليط الضوء على الأحداث التي كانت جزءا منها .
- أيضا جذبنا إلى هذا الموضوع الأستاذ المشرف الذي نحبه ونقدره كثيرا.

ب)الموضوعية :

- محاولة منا إثراء مكتبة الجامعة بهذا الموضوع.

المنهج المتبع:

وللإجابة عن إشكالية الدراسة إعتمدنا على بعض المناهج المتخذة في الدراسات التاريخية وهي:

المنهج التاريخي : فهو الأنسب لمعالجة موضوع الدراسة، وذلك من خلال سرد الوقائع والأحداث المتعلقة قبل التواجد العثماني في طرابلس الغرب وبعده بصورة مختصرة ودقيقة تتناسب مع الموضوع .

المنهج الوصفي التحليلي : لوصف وقائع هذا التواجد ومن ثم تحليل هذه الأحداث التي غيرت من تاريخ المنطقة داخليا وخارجيا.

ووفقا لمتطلبات الدراسة تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة مع مجموعة من الملاحق .

و قد تناول في المدخل إلى مؤشرات تغير موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط مع مطلع القرن 19م و أهمها حملة نابليون على مصر سنة 1798م و انعكاسها على طرابلس الغرب و أيضا التفوق الإنجليزي في البحر المتوسط وأهم المؤتمرات وهي فيينا وإكس لاشابيل وأهم الحملات، حملة إكسماوث 1816م والحملة الإنجليزية الهولندية 1816م .

أما الفصل الأول قد تطرقنا فيه إلى تزايد التحديات الخارجية (1825 – 1830 م) وأيضا أهم المشاكل التي صادفها يوسف باشا ومنها الضائقة المالية و تمرد الزعامات المحلية وهذا ما أدى به إلى التنازل عن الحكم لصالح إبنه علي الثاني سنة 1832 م وهذا ما أدى في الأخير إلى سقوط الحكم الأسرة القرمانلية سنة 1835م .

أما الفصل الثاني: فقد كان عنوانه نهاية الأسرة القرمانلية والتدخل العثماني الثاني في طرابلس الغرب ووضحنا في هذا الفصل الصراع القائم بين علي وأبناء أخيه وكذلك التدخل العثماني والمجابهة العسكرية بين الزعامات المحلية و الولاة الأتراك.

أما الفصل الثالث الذي كان تحت عنوان: طرابلس الغرب العثمانية بين التحديات الداخلية والضغوط الخارجية، حيث تناولنا في هذا الفصل التقارب العثماني السنوسي إذا أشرنا إلى التعريف بالحركة السنوسية بالدولة الليبية كما تطرقنا إلى الحديث عن موقف فرنسا من الحركة السنوسية والفرنسيين وفي الأخير تطرقنا إلى الأطماع الإيطالية لإحتلال ليبيا وتوقيعها لمعاهدة لوزان وأنهينا الموضوع بخاتمة لأهم النقاط التي إستنتجناها من خلال بحثنا المتواضع .

ومن أهم الدراسات السابقة هو كتاب لفرنشيسكو كورو بعنوان ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، إلا أن هذا الكتاب تناول كل التنظيمات التي قامت بها الدولة العثمانية في ليبيا وأيضا التنظيمات التي بقيت من حكم الأسرة القرمانلية وهذا ما جعلنا في مذكراتنا أن لا نتحدث عنها لأن الكتاب عالجها بشكل ممتاز و مفصل .

أهم المصادر والمراجـــع:

وللإحاطة بالموضوع إعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة وتخص بالذكر أهمها:

المصادر : و التي خدمت موضوعنا بشكل مباشر نذكر الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي لشارل فيرو، و كذلك المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لصاحبه أحمد بك النائب الأنصاري .

وأيضا إعتمدنا على ردولفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلية .

المراجع: ومن أهمها إعتمدنا على عمر علي بن إسماعيل إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا.

وأيضا نيكولاي إيليتش بروشين تاريخ ليبيا منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين .

وأيضا إلى مرجع لمحمد محمد الصلابي الثمار الزكية للحركة السنوسية وغيرها من المصادر والمراجع القيمة التي أفادتنا في موضوع دراستنا.

الصعوبـــات:

وقد صادفنا خلال إنجاز الدراسة العديد من الصعوبات في تمكين إنجازها في النقاط التالية :

عدم وجود دراسات تفصيلية حول موضوع البحث بل كانت عامة و غير مرتبة زمانيا .

طول الفترة لدراستنا حيث كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث وهذا ما صعب علينا ضبطها كلها لأن هذا الأمر مستحيل .

وعند اختيار الأحداث التي وجب علينا معالجتها في دراستنا أخذنا الكثير من الوقت و قد أحسسنا بأننا أغفلنا الكثير من الأحداث وهذه ما جعلنا نزيد الفترة لمعالجة هذه الصعوبات.

مدخل

من المهم والضروري قبل الشروع في التحدث عن سقوط الأسرة القرمانلية والتواجد العثماني الثاني بطرابلس الغرب، الذي هو محور بحثنا علينا أن نتطرق إلى كل الظروف المحيطة التي ساعدت ولعبت دور كبير في هذا التغيير، ومن أهم هذه الظروف هي التي كانت تحدث في أوروبا، وعليه أردنا أن نتطرق إليها، ولكن ليس بصورة مفصلة بل أخذنا صورة عن ما كان يجري في أوروبا وخارجها .

ومن هذه الأحداث حملة نابليون بونابرت [1] والتفوق الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط والوفاق الأوروبي والحملات التي ساعدت على تغيير الأحداث داخل أوروبا وخارجها.

أ) مؤشرات تغيير موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط مع مطلع القرن 19م :

من أهم التغييرات التي حدثت في أوروبا هي التي وقعت بعد حملة نابليون على مصر 1798 م و هذا ما يتجلى لنا بعد التطرق إلى هذه الحملة .

- حملة نابليون على مصر 1798 م :

خرجت الحملة من ميناء "طولون " في 19 ماي 1798 م [2] وقد تميزت هذه الحملة بضخامتها [3] ، وفي طريقها إلى مصر تجرأ نابليون على مهاجمة مالطا[4]

[1] نابليون بونابرت : ولد في 15 أوت 1769م في جزيرة كورسيكا الواقعة بالبحر المتوسط اتجاه الجنوب الفرنسي ، وهو إبن شارل دي بونابرت إيطالي الأصل وأمه ماري ليتشيا رامولينو ، إلتحق بمدرسة حربية بباريس وهو في سن العاشرة وخرج منها وعمل كملازم بالجيش الملكي. أنظر إلى أيمن أبو الروس ، نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا الذي إكتسح أوروبا ثم وقع في الفتح الروسي ، مكتبة إبن سينا، القاهرة ، 2013 ، ط .الأولى ص ص 5-9

[2] المرجع نفسه ص 38

[3] شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، تر محمد عبد الكريم الوافي ، جامعة قازيوس بنغازي 1994 ، ط الثانية ص 377

[4] أيمن أبو الروس ، المرجع السابق ص 39

و لم يجد صعوبة في ذلك لأن البارجة كانت ضعيفة التي تصدت له [1]ثم وقعت جزيرة مالطا في يد فرنسا [2].

وأكمل نابليون بونابرت وجهته نحو مصر، فوصلها يوم 01 جويلية في نفس السنة.

وصلت الحملة إلى الإسكندرية، وكانت وقتئذ بمثابة قرية كبيرة تضم عدة الاف من السكان وغير محصنة تحصينا جيدا .

وتقدم نابليون بأسطوله على متن سفينة التي حملت إسم "الشرق " .

وكان قدوم الحملة غير مبرر لأهل الإسكندرية فتسائل البعض لماذا يجيئ الفرنسيون إلى هنا؟.

لقد كان نابليون يعرف جيدا مدى تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية وبتعاليم دينهم الحنيف، و قد وضع هذه النقطة في الحسبان عند قدومه إلى مصر .

لذلك ألقى خطابا يبين من خلاله نواياه الحسنة اتجاه سكان مصر، و بأنه جاء من أجل تخليصهم من الظلم و هذا من خلال ما جاءت به الثورة الفرنسية من مبادئ و أهمها الحرية والعدالة [3] .

[1] أيمن أبو الروس المرجع السابق ص 39

[2] شارل فيرو المصدر السابق ص 377

[3] أيمن أبو الروس المرجع السابق ص ص 39 ، 40

- **إنعكاسات الحملة على طرابلس الغرب :**

لقد أدت حملة نابليون على مصر سنة 1798م إلى إنعكاسات على طرابلس الغرب فمنها إيجابية و منها السلبية و على هذا الأساس سار يوسف باشا بنهج سياسته .

الإيجابية :

إعتمدت سياية يوسف باشا[1] على إبعاد بلاده عن كل صراع و على هذا تقرب من فرنسا خاصة بعد إستلائها على مالطا، و هذا بسبب خشيته من الإنتصارات التي أحرزها نابليون بونابرت ستدفعه إلى التفكير بإحتلال طرابلس الغرب لتكون قاعدة لإنطلاقاته التوسعية .

بالإضافة إلى رغبته في إستقلال بلاده في حالة إنتصار فرنسا، و ما زاد في هذا التقارب ظهور طرابلس كحلقة إتصال بين الجيش الفرنسي في مصر و بين الحكومة الفرنسية من ناحية وكقاعدة لتزويد جزيرة مالطا التي إنتزعها بونابرت من فرسان القديس يوحنا بالمؤن الغذائية من ناحية أخرى .

فما أن عرض على يوسف باشا في سنة 1798م مشروع تزويد هذه الجزيرة بالمؤن الغذائية حتى وافق على ذلك ، و رغبة منه في توطيد الصداقة مع الحكومة الفرنسية و الانتفاع من وراء هذا المشروع من أرباح طائلة تساعده فإثراء خزائن دولته [2]

[1] يوسف باشا سوف نشير إليه في الفصل الأول ص 78

[2] عمر بن إسماعيل ، إنهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 – 1935 م ، مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا 1966م ط الأولى ص ص 87 ، 88 .

ومن خلال هذا نستطيع تلخيص هذه الإيجابيات في عدة نقاط و هي :

- إبعاد البلد عن هذه الصراعات وإحتمال إحتلالها.
- كسب أرباح طائلة التي تساعد في تحسين إقتصاد البلاد .
- طموحات شخصية ليوسف باشا إذا إنتصرت فرنسا و كل هذه الإيجابيات بمنظور يوسف باشا .

السلبية :

لقد أصدر السلطان العثماني بفرمان بطلب عند الضرورة قطع العلاقات السياسية والإقتصادية مع فرنسا و يجب محاربة فرنسا بسبب إعتدائها على مصر .

ونجد أن يوسف باشا لم يهتم بهذا الفرمان، و من هنا بدأت تتشنج العلاقات بين طرابلس الغرب والدولة العثمانية .

ولما رأى السلطان أن فرمانه الأول لم يعمل به إضطر إلى إرسال فرمان ثاني و جعله على شكل تنبيه أو إنذار و ذلك في نفس السنة، و عبر السلطان عن أسفه لعدم إمتثال يوسف باشا لأوامره السابقة حيث أنه لم يقطع علاقته بفرنسا و أن القنصل الفرنسي لا يزال يقيم في طرابلس معززا مكرما .

وأتى أيضا في الفرمان بأن تقطع هذه العلاقات و سجن القنصل الفرنسي ووضع التجار من الفرنسيين تحت الحراسة، و منع تزويد السفن[1] الفرنسية بالمواد الغذائية، وأباح لهم مصادرة أية سفينة فرنسية يجدونها في البحر المتوسط والإستيلاء على ما فيها من أموال وإسترقاق بحارتها .

ولكن يوسف باشا لم يهتم أيضا بهذا الفرمان و إستمر بتزويد مالطا بما تحتاجه من المواد الغذائية [2]

[1] عمر بن إسماعيل، المرجع السابق، ص ص: 88 ، 89 .
[2] المرجع نفسه ، ص 89.

ويعتبر كل ما فعله يوسف باشا سلبيا بسبب دعمه لفرنسا الذي ساعدها في إحتلال مصر وهذا الأمر هو مشين فامصر هي دولة مسلمة، و هذا ما جعل الدولة العثمانية تستنكر كل ما قام به يوسف باشا وسوف نرى فيما بعد بأن الدولة العثمانية سوف تقوم بحملة ضد طرابلس الغرب [1].

- **التفوق الإنجليزي في البحر المتوسط و علاقته مع طرابلس الغرب :**

ظهر التفوق الإنجليزي في مياه البحر الأبيض المتوسط جليا خاصة بعد ضحد الحملة الفرنسية على مصر و الفوز عليها في معركة أبي قير [2] الشهيرة .

- **موقعة أبي قير البحرية :**

إستطاع الأميرال نيلسون [3] NELSON أن يصل إلى نابليون وسفنه، حيث وجدها راسية بالقرب من منطقة أبي قير.

و هناك جرت مجزرة دامية و هزيمة نكراء للفرنسيين و كان هذا في الأيام الأولى من أوت سنة 1798م، حيث إستطاع تدمير أغلب سفن نابليون، و سبب ذلك في خسائر بشرية هائلة في صفوف الجيش الفرنسي حيث إقترب عدد الموتى نحو 1700 بحار بالإضافة لعدد هائل من الجرحى .

و لم يتبق لنابليون سوى عدد محدود من السفن فأدرك نابليون أن إستمرار حملته صار أمرا عسيرا، وإن عليه بذل المزيد من الجهد وخوض تجارب لم تكن متوقعة، وإلا سوف يضطر للعودة إلى بلاده خاسرا، وهو ما لم يكن يرضاه أبدا[4].

---

[1] عمر بن إسماعيل، مرجع سابق ، ص 89.

[2] أبي قير : هي منطقة عبارة عن خليج و يمتد على مسافة 33.5 كلم^2 من جزيرة أبو قير حتى رشيد في الجنوب الشرقي لمصر .

[3] نلسون : ولد سنة 29 سبتمبر 1758 و توفي سنة 21 أكتوبر 1805م و قائد إنجليزي برتبة أميرال :أنظر إلى شارل فيرو، مصدر سابق، ص : 371.

[4] أيمن أبو الروس : المرجع السابق ص ص 43 ، 44

- **علاقة هذا التفوق بطرابلس الغرب :**

بعد تفوق الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط وبقاء نابليون في مصر محاصرا فلقد لجأ هذا الأخير إلى الإستعانة بطرابلس الغرب لي تمده بكل ما يحتاجه، وأيضا تكون له الرابط الذي يربطه مع مالطا وفرنسا لكن التفوق الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط زادا خاصة بعد إمتلاكهم لمالطا[1].

لقد وضع الإنجليز أقدامهم في مالطا سنة 1799م مصممين على البقاء فيها أطول مدة ممكنة، وهذه الأحداث كانت لها علاقة مع طرابلس الغرب وهذا بتحريض حليفتها وهي الدولة العثمانية وهذا من أجل قطع العلاقات بين يوسف باشا ونظيره الفرنسي نابليون .

وهذا ما حدث فقد راسلت الدولة العثمانية يوسف كثيرا وأصدرت عدة فرمانات سبق ذكرها وأخرى بعدها، وهكذا إستطاعت إنجلترا أن تفرض نفسها كأقوى الدول الأوربية في العالم وأكبر قوى متواجدة في البحر الأبيض المتوسط [2] .

ب) الوفاق الأوروبي وإنعكاساته على طرابلس الغرب :

ويقصد به كل المؤتمرات التي حدثت في بداية مطلع القرن 19م والتي أحدثت تغيرا كبيرا داخل أوروبا وخارجها ومن أهمها كالتالي :

- **مؤتمر فيينا 1815م :**

عقد هذا المؤتمر في فيينا في الفترة الممتدة من سبتمبر 1814إلى جانفي 1815م [3]، وكان هذا المؤتمر قد جاء بعد إنتهاء الحروب النابليونية، ومن أهم الدول التي نشطته هي الدول

[1] إتوري روسي ،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، تر خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب ص389.

[2] أحمد حافظ عوض ،نابليون بونابرت في مصر ، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر ، 2012، ص259.

[3] عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ج الثاني ص 16.

المنتصرة على نابليون وهي إنجلترا وروسيا وبروسيا و النمسا، وهذا من أجل معالجة المشاكل التي ترتبت على قيام الثورة الفرنسية وحروب نابليون وكما سمح لفرنسا بحضور هذه المؤتمر.

وكان جدول أعمال هذا المؤتمر يشمل العديد من المسائل الهامة، وكان من بينها مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط .

وترتب عن هذا المؤتمر عدة قرارات هامة داخل أوروبا وخارجها ،ومن أهم هذه القرارات منع وإلغاء القرصنة أي "الجهاد البحري التي كانت تقوم به الدول شمال إفريقيا ".

وهذا لضرب إقتصادها مباشرة حيث كانت هذه الدول تعتمد على الجهاد البحري الذي كان محور إقتصادها [1].

- **إنعكاسات قرارات مؤتمر فيينا على طرابلس الغرب :**

من بعد ما أصدر مؤتمر فيينا قرارت ضد مسألة الجهاد البحري "القرصنة" كانت هناك ردود من إيالات العثمانية في شمال إفريقيا ،ولكن ما يهمنا هو رد يوسف باشا الذي كأنه لم يسمع بهذا القرار وقد إستأنف الأعمال العدائية ضد النمسا إذ كان يطالبها بدفع أقساط الجزية المتأخرة ،وأيضا طالبا البندقية بالضريبة السنوية التي كانت تدفعها له الجمهورية .

كما إستأنف الباشا الأعمال العدوانية ضد هولندا والدنمارك بسب تأخرهما في دفع المبالغ المنصوص عليها في معاهدات الصلح المعقودة مع كل منهما ،وضد الدول البحرية الإيطالية .

وإشتدت أعمال الغزو خاصة ضد سفن هذه الدول و لم تسلم السفن الفرنسية وسفن الولايات المتحدة من هجمات الطرابلسيين .

[1] عمر بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 143.

إلا السفن الإنجليزية التي سلمت من هذا الإستئناف القوي من طرف يوسف باشا [1]، وهذا بسبب قنصلها القوي وارنجتون [2] WARRINGTONالذي فرض إحترامه، هذا من جهة ومن جهة أخرى قوة الدولة الإنجليزية وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط خاصة بعد أخذ مالطا نهائيا من خلال هذا المؤتمر[3] .

مؤتمر اكس لاشابيل 1818م:

عقد مؤتمر اكس لاشبيل في ألمانيا في سبتمبر1818م وهذا بعدما بقيت مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط تتأرجح بين المؤتمرات الأوربية .

فنوقش هذا الموضوع من جديد و لم تصل الدول المجتمعة إلى اتفاق على مشروع موحد، قررت إرسال إنذار إلى نيابات شمال الإفريقي ينص على ا ن إي اعتداء على تجارة الدول الأوربية سوف يقابل بالقوة وكلفت انجلترا وفرنسا بإبلاغ هذه الإيالات هذا الإنذار.

وفي يوم 8 أكتوبر سنة 1818م وصل الأسطول الانجليزي والأسطول الفرنسي وأبلغا الباشا بنص الن1ذار وبالرغم من تصريحه لهما بأنه سوف يترك الغزو إلا إنهما قد طالبا منه الرد على هذا الإنذار كتابيا.

إنعكساه على طرابلس الغرب :

بعد قبول يوسف باشا لهذا الإنذار والتعهد بتنفيذ ما جاء فيه بالإضافة إلى تعهده السابق بعدم استرقاق المسبحين(جهاد البحري) عاملا من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط حكم أسرته. [4]

---

[1] رودولفو ميكاكي ، المصدر السابق ص 172 .

[2] وارنجتون : هو فريدريك وارنجتون قنصل إنجليزي السابق في طرابلس الغرب ، وكان عنيف وكثير التكبر والانفعال توفي سنة 1882م أنظر إلى شارل فيرو ، المصدر السابق ص 396.

[3] رودولفو ميكاكي المصدر السابق ص 173.

[4] عمر بن إسماعيل، المرجع السابق ، ص ص : 147،148.

حيث أنه بقبوله إلغاء الجهاد البحري فقد أهم مصادر ثروته وأصبح يعاني ذائقة اقتصادية شديدة .[1]

الحمالات الأوربية: من مؤتمر فيينا سنة 1815م إلى مؤتمر اكس لاشابيل سنة 1818م وقعت عدت حملات عسكرية على الإيالات العثمانية وخصوصا طرابلس الغرب ولكن أهم هذه الحمالات هي:

- **حملة اكسماوث 1816م :** سيرت هذه الحملة من طرف انجلترا بقيادة اللورد اكسماوث على رأس أسطول كبير إلى البحر الأبيض المتوسط ليفرض على رؤساء حكومات هذه الإيالات قرارات مؤتمر فيينا، وصل اللورد اكسماوث إلى البحر الأبيض المتوسط لكي يقوم بالمهمة الموكلة إليه وقد حصل من داي الجزائر على أمر بإطلاق الأسرى الذين اخذوا من الجزر بحر الأرخبيل التي كانت في ذلكم الوقت خاضعة لانجلترا كما حصل على وعد من بيك تونس بوقف مغامرات البحرية إي الجهاد البحري[2].

وصل اللورد اكسماوث إلى طرابلس في 27 أفريل من نفس السنة، وفي اليوم التالي استقبله الباشا، وبعد النجاح الذي أحرزه في تونس والجزائر ساهم في تقدم المفاوضات إذ تعهد يوسف في يوم 29 أفريل بعدم استعباد المسيحيين بعد ذلك .

واعترف يوسف باشا بأن جزر الايونياز وهانوفر تابعة للتاج البريطاني وتعهد بان يعقد صلحا دائما مع ملك سردينيا وصلحا لمدة 10 سنوات مع ملك صقليتين وتعيين قناصل لهما في طرابلس الغرب مقابل دفع مبلغ 4000 قرش اسباني كهدية قنصلية عند بدأ تعيين كل منهما ودفع مبلغ مماثل عند تعيين أي قنصل بعد ذلك.

واضطر الباشا أيضا للموافقة على إطلاق صراح 144 أسير من سردينيا ومن جنوا كما أطلق 422 أسير من نابولي مقابل 50 ألف قرش اسباني.

[1] عمر بن إسماعيل، المرجع السابق ، ص : 149.

[2] ردولفو ميكاكي: المرجع السابق، ص ص ، 175، 176.

ومن جهة أخرى فإن يوسف باشا كان قد ابرم المعاهدة في شيء كثير من سوء النية بسبب اضطراره إلى الخضوع للقوة .[1]

- **الحملة الانجليزية الهولندية 1816م:**

وصل إلى يوسف باشا خبرا بان اكسماوث قد قصف مدينة الجزائر بالقنابل في 27 أوت وألزم الداي بتوقيع معاهدة 31 أوت التي تنص على إلغاء استعباد المسيحيين وقد شارك في هذه الحملة الأميرال الهولندي فان كابللين van capelline ، ولهذا سميت بالحملة الإنجليزية الهولندية [2] وقد اتجه الأميرال الهولندي إلى طرابلس وليس معه سوى فرقاطة[3] واحدة كانت قد شاركت مؤخرا في الهجوم على الجزائر .

ووصل إلى طرابلس في 10 سبتمبر ورغب الباشا أثناء مقابلته لهذا الأميرال في أن يطلع منه شخصيا على تفاصيل كل ما وقع مع الجزائر وكان رد الفعل الذي ولدته رواية الاميرال للأحداث في نفوس العرب الطرابلسيين شديدا حيث شعروا بمذلة لا توصف .

وصرح فان كابللين بان ملك هولندا ليست لديه أي عدائية اتجاه ايالة طرابلس الغرب، إلا انه يرى مما يجرح كرامته أن يرغم على دفع 60 ألف قرش اسباني أو أي مبلغ أخر يطلب منه كمتأخرات السداد عن الفترة التي احتل فيها الفرنسيون هولندا .

واقترح فقط – وبكل بساطة –تجديد المعاهدة المؤرخة في سنة 1728م ، والتي كانت تلزم هولندا بدفع مبلغ 5000 قرش اسباني لأيالة طرابلس الغرب كل سنة .

ونظرا للظروف القائمة أنا ذاك، فان المفاوضات سرعان ما انتهت وتم دفع 20 ألف قرش تسديدا للأتوات السالفة والحاضرة على سواء، وأبحر الأميرال الهولندي وكان من المؤمل بعد

---

[1] ردولفو ميكاكي: المرجع السابق ، ص ص : 176، 178.

[2] نفسه ، ص :178.

[3] فرقاطة: هي اكبر السفن الحربية حيث تحتوي على 36 مدفع : انظر الى شارل فيرو ، المصدر السابق، ص 395.

قصف الجزائر أن يركن فان كابللين إلى لهجة أكثر حزما كما كان حريا ب هان يتخلى طرف هولندا من الرضوخ تحت حمل مالي ثقيل يعتبر بدون مبالغة إذلال لها .[1]

ونلاحظ أن كل هذه الظروف لعبت دورا هاما في تشديد الخناق على طرابلس الغرب وبدأ يوسف باشا يفشل بسياسته في تسيير البلاد وسوف نلاحظ بان هذه الظروف وظروف أخرى سوف يصطدم بها الباشا تؤدي به إلى التنازل عن الحكم .

[1] شارل فيرو، المصدر السابق، ص 395.

الفصل الأول :

الظروف الداخلية والخارجية التي أدت إلى تنازل يوسف باشا عن الحكم وسقوط الأسرة القرمانلية 1825-1835م

المبحث الأول : الظروف الخارجية

المبحث الثاني: الظروف الداخلية

المبحث الثالث: تنازل يوسف باشا عن الحكم لأبنه علي الثاني سنة 1832

في بداية القرن التاسع عشر اصطدم يوسف باشا بعدة ظروف منها داخلية ومنها خارجية أدت به إلى تنازل عن الحكم لمصلحة ابنه علي الثاني، وفي هذا الفصل سوف نتطرق إلى هذه الظروف ، ففي المبحث الأول نرى أن الدويلات ايطالية مارست ضغط كبير على يوسف باشا، وفي المبحث الثاني سوء الحالة اقتصادية للبلد وتمرد الزعامات المحلية لعبت دور كبير في تنازل يوسف باشا عن الحكم، وفي المبحث الثالث سوف نرى تنازل يوسف باشا عن الحكم لصالح ابنه.

المبحث الأول: الظروف الخارجية

منذ سنة 1825م إلى سنة 1830م قامت دويلات ايطالية بتسيير حملات عسكرية ضد طرابلس الغرب ومن أهم هذه الدويلات فيما يلي:

أ) **حملة سردينيا** : لقد ترتب عن عودة النشاط البحري الطرابلسي خلال الفترة (1825-1830م) دخول طرابلس في مجابهات عسكرية مع بعض الدول الصغرى التي لم تكن في السابق تجرؤ على التحدي نتيجة لقوة الأسطول الطرابلسي وافتقارها للدعم السياسي والبحري من الدول البحرية الكبرى انجلترا وفرنسا .

في سنة 1825م توترت العلاقات بين يوسف باشا وحكومة سردينيا بسبب عدم التزامها بدفع 4000 قرش اسباني المتفق عليها في المعاهدة سنة 1816م ، التي وقعها نيابة عن سردينيا اللورد أكسماوث[1] .

وقد غادر قنصل سردينيا طرابلس وتولى قنصل أخر زمام الأمور فيها ، الذي رضخ لمطالب يوسف باشا ووقع تعهدا بدفع المبلغ ، غير أن حكومته رفضت الاعتراف بهذا العمل وبذلك لم يعد أمام القنصل السرديني إلا المماطلة وهو أسلوب المعهود للقناصل الأوروبيون والذي يعلمه يوسف باشا جيدا.

ولهذا أمر القنصل السرديني بإنزال علم بلاده ، وإرسال ثلاثة مراكب طرابلسية إلى عرض البحر للبحث عن المراكب السردينية ، وعندما وصلت هذه الإخبار إلى حكومة السردينية أرسلت

[1] امحمد سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي (1795-1832م) ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ، ليبيا ، 2002م ، ص 332.

أسطولا بحريا مكونا من ثمانية مراكب إلى طرابلس الغرب التي ظهرت أمام سواحلها يوم الأحد (25 سبتمبر 1825م)[1].

اتصل قائد الحملة فور وصوله بالقنصل الانجليزي وارنجتون للدخول في مفاوضات مع يوسف باشا الذي عين بدوره رئيس وزرائه رئيسا للوفد الطرابلسي ، وبدأت المفاوضات يوم (26 سبتمبر 1825م) ولكن دون تحقيق أي تقدم ملموس ، ويقول ميكاكي أن يوسف باشا التخلص من شروط المعاهدة 1816م ، التي كانت تنص المادة الأولى منها على مساواة سردينيا بالامتيازات التي كانت تتمتع بها انجلترا قبل هذه المعاهدة[2].

تلك المعاهدة التي فرضت على طرابلس الغرب من قبل انجلترا نتيجة لحملة أكسماوث البحرية والنفوذ السياسي لوارنجتون، الذي أصبح يمثل قنصل سردينيا بعد تلك المعاهدة مباشرة أ أما ألان فالوضع مختلف فقد أصبحت سردينيا ممثلة من قبل احد رعاياها ، ولا يستبعد أن يكون ورانجتون وراء تحريض يوسف باشا عندما استغنت الحكومة السردينية عن خدماته[3].

ولقد فشل الحوار البارد ليبدأ الحوار الساخن بالمدافع والبنادق ، وقامت الحملة السردينية بعملية إنزال بحري ليلة الأربعاء يوم (28سبتمبر 1825م) على الميناء ، فقد قامت سبع مراكب بنقل الجنود إلى هذه الأهداف نظرا لعدم إمكانية وصول السفن الكبيرة التي تحتاج عمق كافي .

ونجحت هذه المراكب السبعة في حرق مركبين طرابلسيين ، وعند محاولتها الوصول إلى الترسانة استطاعت القوات الأرضية إيقافهم بمساعدة مدفعية القلعة والمراكز الدفاعية الأخرى وإجبارهم على الانسحاب .

الأمر الذي جعل السكان يهجرونها إلى المنشية بينما استمر المجاهدون الطرابلسيون في الأبراج والحصون الدفاعية طيلة يوم الجمعة وقاموا بتأدية شعائر صلاة الجمعة بثكناتهم خوفا من استغلال العدو للموقف والهجوم على المدينة .

[1] امحمد سعيد ، مرجع السابق ، ص 332.

[2] رودولفو ميكاكي ، مصدر السابق ، ص 186.

[3] امحمد سعيد ، مرجع السابق ، ص 333.

وفي نهاية يوم الجمعة عادت المفاوضات من جديد وتم الصلح على أن تدفع الحكومة السردينية مبلغ 8000 فرانك أي ما يعادل حوالي 15000 قرش اسباني لمرة واحدة ، وهو أخر مبلغ دفعته هذه الحكومة إلى طرابلس وبذلك أصبحت حملة سردينيا هذه مشجعة لغيرها من الدويلات الصغرى التي تحاول التخلص من التزاماتها نحو الباشا [1] .

ب) **الحملة البابوية :** حتى الحكومة البابوية التي كانت مراكبها صيدا سهلا للحملات الطرابلسية ، نتيجة رفض البابا عقد معاهدة مع المسلمين "الكفار" على حد تعبيره ورفض أن يرفرف علمه في سماء ايالات المغرب مكتفيا بتمثيل إحدى الدول الأوروبية الكبرى له .

حيث كان يمثل في طرابلس الغرب القنصل الانجليزي وارنجتون الذي اشتكى أكثر من مرة لعدم عقد حكومة البابا معاهدة مع طرابلس والتي ترتب عليها استيلاء المراكب الطرابلسية على عدة مراكب تجارية لها كان أخرها ثلاثة مراكب استولى عليها الطرابلسيون في شهر سبتمبر 1825م[2].

ورفض يوسف باشا إعادتها إلا بعد أن تقدم له الحكومة البابوية الهدايا المتفق عليها مع اللورد اكسماوث والقنصل الانجليزي سنة 1819م[3] ، رغم مطالبة القنصل الفرنسي بإرجاعها وقد أخبر حكومته بذلك بال إضافة إلى المضايقات التي أصبح يشعر بها من قبل يوسف باشا ، وخاصة بعد تعرضه لمحاولة اغتيال فاشلة قام بها العبيد السود .

فاستجابت الحكومة الفرنسية لهذا النداء وأرسلت حملة عسكرية مكونة من بعض السفن التي وصلت إلى طرابلس في فيفري 1826م، والتي أرغمت يوسف باشا في النهاية على قبول مطالب الحكومة البابوية وهي:

- تسليم المراكب الثلاثة المستولى عليها
- احترام العلم البابوي في المستقبل

[1] امحمد سعيد ، مرجع السابق، ص ص 333 ، 334 .

[2] المرجع نفسه ، ص ص 334-335.

[3] رودولفو ميكاكي ، مصدر السابق ، ص 191.

- تعويض قادة المراكب بمبلغ 2000 قرش اسباني
- واعتبار فرنسا أحق الدول الأوروبية بالرعاية[1].

ج) **حملة نابولي** :في سنة 1828م تدهورت العلاقات بين طرابلس الغرب ونابولي بسبب امتناع الأخيرة عن دفع المبلغ المالي المتفق عليه سنويا احتذاء بحذو سردينيا في استخدامها القوة من اجل إلغاء هذه العادة المفروضة عليهم من يوسف باشا والتخلص من سيطرته .

في سنة 1828م توفي ملك نابولي وتولى ابنه العرش ، فطلب يوسف باشا من قنصل نابولي إبلاغ الملك الجديد أن جلوسه على العرش يتحتم تجديد معاهدة الصداقة وإرسال هدية كما نصت على ذلك معاهدة 1816م ، فحاول القنصل التخلص من هذا الالتزام وقد افلح في

إقناع يوسف باشا بالتخلي عن طلبه في تجديد المعاهدة ، وفي نفس الوقت يصر الباشا على إرسال هدية ولكن نابولي لم ترض بذلك .

واستغل يوسف باشا هذا الخلاف وأرسل أسطوله إلى عرض البحر بحثا عن مراكب نابولية لإجبارها على تجديد المعاهدة فأرسلت نابولي حملة عسكرية .

ووصلت هذه الحملة إلى مياه طرابلس الغرب يوم 22 أوت 1828م وقد وصلت أخبار هذه الحملة قبل وصولها إلى يوسف باشا ، وبذلك استطاع أن يقوم بالاستعدادات اللازمة.

وجهزا يوسف باشا أسطوله البحري ونظم قواته البحرية والأرضية وزودها بالأسلحة والذخائر وعمل على رفع روحهم المعنوية ودفع أجورهم ، وبذلك زاد إصرار الباشا على مطالبه المالية و لم تجد محاولة احتواء الخلاف بوساطة القنصل الفرنسي نظرا لتسرع قائد الفرقة النابولية بقصف مدينة طرابلس بالمدافع في محاولة لاحتلالها .

ولكن استعدادات الباشا قضت على أحلامه وكان الفشل مصير حملته ، وفي يوم 29 أوت من نفس السنة أقلعت هذه الحملة عائدة إلى بلادها ليواجه قائدها المحاكمة على هذه الهزيمة.

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الحملة النابولية تنسحب كان الأسطول الطرابلسي يتعقبها واستطاعت المراكب الطرابلسية لحاق بها والعودة بعدة مراكب نابولية[2].

[1] امحمد سعيد، مرجع السابق ، ص 334-335.

[2] امحمد سعيد، مرجع السابق، ص ص 335 ، 336

الأمر الذي أزعج حكومة نابولي كما أزعج فرنسا التي كانت في هذه الأثناء قد بدأت حملتها على الجزائر ، وكان يهمها المحافظة على هدوء الملاحة في البحر المتوسط حتى لا يفشل مخططها ولعل هذا ما جعل نابولي تشك فيمل تعرضه فرنسا من وساطة وخاصة لما نصحتهم بمراعاة مطالب يوسف باشا .

وقد احتجت نابولي رسميا على تدخل القنصل الفرنسي في طرابلس وعرضه للوساطة بشيء من الاعتدال حيث شعروا أن ذلك يمس كرامتهم ومصالحهم ، وتشككوا حتى فيما عرضه سفير فرنسا بنابولي من وساطة بدافع الصلات العائلية التي كانت تربط بين ملكي البلدين فرنسا ونابولي إلى جانب أن المعاهدة السابقة مع طرابلس قد تمت بواسطة الانجليز .

وعليه حرص ملك نابولي على ألا تنفرد فرنسا وحدها في هذا الموضوع ، ولكن الأمور تزداد كل يوم سوءا ويبدو أن الحملات البحرية الطرابلسية قد ضيقت عليهم الخناق وكان لا مفر من تدخل فرنسا لإنهاء حالة الحرب .

وهكذا اتصلت نابولي بالقنصل الفرنسي بطرابلس الغرب الذي نجحت وساطته هذه المرة وعقد الصلح بين الطرفين ، على أن تدفع نابولي مبلغا ماليا وإلغاء المبالغ السنوية التي كانت مفروضة على نابولي .

وتقوم أيضا حكومة بتقديم هدية عند تعيين كل قنصل جديد وعودة احد الرياس الذي وقع في الأسر وذلك عاد السلام بين البلدين ، وعلى الرغم من خسائر طرابلس من جراء هذه الحرب لم تكن كبيرة وخاصة في الأرواح[1] .

[1] امحمد سعيد، مرجع السابق، ص ص 336 ، 337 .

المبحث الثاني: الظروف الداخلية

أ) الضائقة المالية:

لقد كان يوسف باشا في أوائل عهده يعد مثلا صادقا للحاكم الصالح الذي استطاع أن يحقق لشعبه الكثير من الانتصارات ، كما تمكن بقوة شخصيته وبعزيمته الصلبة أن يفرض إرادته على الكثير من الدول التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالا لنشاطها التجاري .

وقد تكدست في خزائنه المبالغ الطائلة التي كان يجنيها من الإتاوات السنوية التي كانت الدول الأوروبية تدفعها سنويا نظير امن وسلامة سفنها من اعتداء الأسطول الطرابلسي عليها .

أو من تلك المبالغ التي كان يفرضها على هذه الدول عند تعيين قناصلها في مدينة طرابلس ، أو من تلك الغنائم التي كان بحارته يحصلون عليها من غزواتهم البحرية بالإضافة إلى المبالغ التي كان بعض الحكام من الشعب يدفعونها إليه نظير استقلالهم في التصرف في إدارة منهم أو مقاطعاتهم ، وكذلك ما يجنيه من الجمرك والضرائب[1].

لقد عاشت إيالة طرابلس الغرب أواخر حكم يوسف باشا إفلاسا اقتصاديا كان من أسبابه توقف الجهاد البحري وسوء الحكم والإدارة.

ولقد كان الامتناع عن الجهاد البحري انعكاس كبير على الوضع الاقتصادي في طرابلس الغرب لأنه جردها من أهم مصدر تعتمد عليه ، إذ كان الجهاد البحري يزودها بالإتاوات التي تضمن لها الملاحة في البحر إضافة إلى الغنائم والبضائع الكبيرة التي كانت تتحصل عليها[2].

فقد بدأ مدخول الإيالة في تناقص مستمر نتيجة لقوة أساطيل الدول الأوروبية وعظمتها خاصة بعد توقيع يوسف باشا على وقف الجهاد البحري[3].

[1] عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص 225.

[2] بروشين ، مرجع سابق ، ص 223.

[3] المرجع نفسه ، ص 223.

وأخذت ضائقة الباشا المالية تسوء يوما بعد يوم إلى درجة انه اضطر إلى بيع كل شيء للتجار الأوروبيين ، حتى المدافع البرونزية التي كانت تحرس قلاعه كما رهن الفرقاطة الوحيدة التي يملكها مقابل قرض مالي[1].

وهذا مدفع الباشا إلى البحث عن مصدر جديد للدخل حيث قام باحتكار القمح ومنتجات الصناعة اليدوية ، إذ كان لهذه الحركة اثر سلبي على نشاط التجارة كما قام بزعزعة النظام النقدي، إذ جمع القطع النقدية الذهبية والفضية وطرح بديلا عنها قطعا جديدة تحتوي على نسبة كبيرة من النحاس[2].

كما انه تعامل مع التجار الأجانب عن طريق نظام البطاقات ، فكان يشتري منهم البضاعة ويحرر لهم بطاقات بالمبالغ المطلوبة على بعض المدن ، حيث يذهب صاحب البطاقة ببطاقته إلى حاكم المدينة المعينة في البطاقة ليأخذ ما يستحقه ولما بدأت الحالة الاقتصادية تزداد سوءا ، اخذوا يماطلون في دفع واخذ الباشا يعد بالسداد في أجال محدودة ، وعندما لم يحصل أصحاب البطاقات على أموالهم يلجئون إلى قناصلهم لحمايتهم، مما دفع يوسف باشا إلى عقد اتفاقات مع هؤلاء القناصل لتنظيم سداد هذه الديون[3].

فاضطر يوسف باشا ممارسة الضغط على اليهود الذين شملهم في أوائل أيام حكمه بكثير من الرعاية ، وكانوا أغنى طبقات سكان المدينة ، حيث كانوا يسيطرون على تجارة الحبوب فألزمهم يوسف باشا بتوريد بعض مستلزمات الحياة والرفاهية إلى البلاط مثل الشحم والعطور وأدوات الزينة .

[1] شارل فيرو ، مصدر سابق ، ص 422.

[2] بروشين ، مرجع سابق ص 228.

[3] عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص 231.

واتخذ ضدهم إجراءات شديدة مثل إصدار تعليمات باعتبار جميع العقارات والأملاك التي لا توجد لها عقود مكتوبة من أملاك الدولة ، حيث كان معظم اليهود لا يملكون عقودا لعقاراتهم في طرابلس الغرب[1].

كما لجأ يوسف باشا إلى فرض ضرائب استثنائية على عرب المنشية الذين كانوا معفيين من دفعها [2].

وقام يوسف باشا بنهج عدة سياسات لاحتواء الوضع إلا أنها لم تفد البلد بل أصبحت حالتها تزداد سوءا وتدهورا.

وقد زاد في سرعة هذا التدهور اضمحلال التجارة الداخلية والخارجية وكساد الصناعة المحلية نتيجة للعوامل السابقة بالإضافة إلى عدم استقرار وثبوت العملة المتداولة بين الناس سواء أكان ذلك من حيث نوعيتها أو قيمتها.

ولقد شلت قسوة الأزمة المالية تفكير يوسف باشا لدرجة لم يعد في وسعه القيام بآي عمل من شانه إصلاح حالة الاقتصادية، وتحول فجأة من حاكم يعيش من اجل شعبه و وطنه إلى حاكم يعيش من اجل ملذاته وشهواته[3].

ب) تمرد الزعامات المحلية:

أدت سياسة يوسف باشا القرمانلي التي اعتمدت على فرض الضرائب على القبائل وسكان طرابلس الغرب ، والتي كانت مرهقة لهم واستثنائية أدت إلى نشوب عدة ثورات ضده وتمرد اكبر الزعامات عليه ومن أهم هذه الزعامات فيما يلي :

[1] عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص ص 231، 233.
[2] شارل فيرو ، مصدر سابق ، ص 423.
[3] عمر بن إسماعيل، مرجع سابق ص 234.

- **عبد الجليل سيف النصر:** هو شيخ قبيلة أولاد سليمان وهي قبيلة قوية كانت تحتل في جنوب طرابلس الغرب الجزء الكبير من الهضبة الواسعة ، وعاش فترة شبابه في بيت القرمانلين[1].

وفي سنة 1831م عبد الجليل ثار ضد يوسف باشا والتف من حوله من كانوا بتلك الضواحي من العرب واظهروا العصيان ضده[2].

كان عبد الجليل يتبوأ مكانة عالية ، مما أثار ضده حسد وغيرة عدد من متملقين الباشا الذين استطاعوا قناعه بان هذا الشيخ قد تزعم التحزبات القبلية ضده لخلعه من العرش .

فأمر يوسف باشا الشيخ عبد الجليل بالحضور الى طرابلس ، وكان هذا الشيخ الذي سبق له وان احتك بالقرمانلين طيلة فترة شبابه تقريبا يدرك مدى تردي وضعهم .

كما كان مطلعا على جميع أسرار قصرهم ودسائسه الخفية فأرتاب هذا الزعيم البدوي في نوايا الباشا تجاهه واكتفى بإيفاد احد أعوانه إليه لكي يبرر له أسباب ثورته ضده ، فكان مقتل ذلك المبعوث هو الجواب الذي رد عليه به.

وحاول يوسف باشا في البداية أن يقاومه عن طريق تحريض أعدائه عليه، إلا أن عبد الجليل تمكن من هزيمة بعضهم واستمالة البعض الأخر إلى صفه[3].

فوجد نفسه أقوى من ذي قبل، وبادر إلى إرسال أعوانه إلى فزان معتقدا أن الاستيلاء على هذا الإقليم الصحراوي سيكون أمرا سهلا وبالفعل فإنهم دخلوه بدون صعوبة، وما لبثت طرابلس وقتا طويلا حتى علمت أن فزان محاصرا.

وكان احمد بك [4] حاكم فزان الذي هو في نفس الوقت زوج أحدى بنات يوسف باشا ، كان محاصرا في قلعة مرزق ، وكانت ابنة الباشا موجودة مع والدها في طرابلس فأخذت تستحثه بدموعها ، فقرر يوسف باشا توجيه حملة عسكرية ضد المتمردين .

---

[1] شارل فيرو ، مصدر سابق ، ص 421.

[2] احمد سعيد ، مرجع سابق ، ص 345.

[3] شارل فيرو ، مصدر سابق ، ص 421.

[4] احمد بك : هو احمد بك جركس حاكم فزان ، وزوج إحدى بنات يوسف باشا توفي أثناء الحصار الذي فرضه عليه عبد الجليل ، انظر إلى رودلفو ميكاكي ، مصدر سابق ، ص 233.

وكانت تلك الحملة مؤلفة من جند الساحل والمنشية وقسم من الحامية النظامية الدائمة في طرابلس ، وعن مفرزة من حراس الباشا السود ، ووضع على رأس هذه الحملة ابنه علي الذي كان يرافقه فيها أخوه الأصغر إبراهيم .

وقد قام هذا الجيش الذي تم حشده بصعوبة كبيرة عدة مرات وبدون جدوى بمهاجمة معسكر عبد الجليل سيف النصر، الذي تمركز في مواقع ممتازة في منطقة بني وليد.

وظل يرد الهجمات متأكدا من الطرابلسية لن تستطيع الاستمرار في هجماتها فترة طويلة وبالفعل فإنها ما لبثت أن أخذت تعاني من نقص المؤن ومن هروب جنودها[1].

شاروفي تلك الأثناء تلقى يوسف خبر مفاده أن زوج ابنته قد توفي وبأن قلعة مرزق قد وقعت في أيدي أعدائه ، وإذ وجد يوسف باشا نفسه محاطا بهذه المشاكل فأنه قرر الإنصات إلى مقترحات الصلح التي عرضها عليه وارنجتون الذي أبدى استعداده للوساطة[2].

وبادرا هذا القنصل الذي كانت تربطه بعبد الجليل بعض العلاقات ، فطلب من هذا الأخير مقابلته ، فوافق عبد الجليل على لقاء به وتوجه وارنجتون إليه واقترح عليه أن يترك فزان وان يدفع ضريبة خراج وان يرسل إلى طرابلس إحدى أخوته كرهينة غير أن القنصل رجع دون أن يحصل على أي شيء من ذلك واستمرت الحرب[3].

- غومة المحمودي :

هو ابن الشيخ خليفة بن نوير ، زعيم قبيلة المحاميد ولد غومة سنة 1795م ، وبعد وفاة والده أصبح أخوه الأكبر الشيخ أبو القاسم زعيما للقبيلة التي تقطن الجبل الغربي في طرابلس الغرب .

[1] ل فيرو ، مصدر سابق ، ص 421.

[2] رودولفو ميكاكي ، المرجع السابق ، ص 235.

[3] شارل فيرو ، مصدر سابق ، ص 42.

والمعروف أن مشايخ المحاميد قد أيدوا القرمانليين في معظم الأحيان ، وبعد زوال حكم الأسرة القرمانلية ثار غومة مرارا وتكرارا ضد الحكم العثماني الثاني .

ولقد جاء تمرد غومة المحمودي بعد فرض يوسف باشا على قبيلته وسكان طرابلس الغرب الضرائب التي كانت كبيرة واستثنائية .

وان غومة المحمودي وقبيلته كانت تأيد الأسرة القرامانلية في اغلب الأحيان ، لكن هذه الضرائب جعلت منه أن يتمرد على يوسف باشا ويعلن عصيانه .

وبدأ هذا التمرد بعدما وطد غومة علاقته مع علي باشا القرمانلي ابن يوسف باشا ، واده علي باشا ببعض القوات للدفاع عن مدينة طرابلس ، وقد بعث له الدعم والأموال لتجهيز جيشه .

وقد استمال هذا الدعم كل المتمردين في الوقوف إلى جانب علي باشا ، الأمر الذي أدى إلى انضمام أعداد كبيرة من البادية إلى معسكر غومة المحمودي للقيام بالحملة العسكرية ضد قلعة الزاوية التي كان يحتلها أهل المنشية[1].

وكان غومة قد بادرا من قبل –بقصة تخدير المناوئين لعلي باشا القرمانلي ولإعطاء برهان على حياده المفتعل – إلى إرسال ابنه الى زعيم ثوار المنشية ليحتفظ به كرهينة .

ولكن بعد هروب ابن غومة المحمودي بمساعدة من احد الزعامات المحلية ، تحرر غومة بعد هروب ابنه وانتهزا الفرصة فتوجه دون إبطاء إلى الزاوية حين تمكن من الاستيلاء عليها بعد هجوم عنيف واستطاع احتلال قلعتها[2].

[1] شارل فيرو ، مصدر سابق، ص ص 428، 429.

[2] فيرو، مصدر نفسه، ص 429.

المبحث الثالث: تنازل يوسف باشا عن الحكم لأبنه علي الثاني سنة 1832م

قبل التحدث عن تنازل يوسف باشا عن الحكم ، رأينا إن نعطه حقه حيث هو من أهم الشخصيات في موضوعنا ولهذا أردنا أن نعرفه تعريفا مفصلا .

أ) يوسف باشا القرمانلي :

هو ابن علي القرمانلي ، تولى الحكم في طرابلس الغرب سنة 1796م ، بعد أن قتل أخيه الأكبر وثار على أخيه الأوسط احمد مستغلا في ذلك إهماله لشؤون الحكم وانغماسه في الملذات .

ولقد اتخذ سياسة التقرب من الأهالي مبينا انه هو الذي يستطيع إنقاذ البلاد من الفوضى التي كانت تعيشها في عهد احمد القرمانلي الثاني ، حيث اتجهت مجموعة من أهالي طرابلس إلى باشا تونس وذلك للتوسط لدى السلطان العثماني من اجل تعيينه على ولاية طرابلس[1].

ولقد كان ليس برجل القاسي غير انه كان عنيد ومترفع ومتكبر، لا يحترم القناصل ولا الدول الأوروبية وكان يعتبر شخصية قوية ومتسلطة تجد الثورة كوسيلة للسيطرة وحب التأييد الشعبي[2].

فقد اعتبرا خليط بين الوحشية والكرم ولذلك قيل عنه " أن يوسف باشا يمثل مزيجا من الفضائل والرذائل، فهو رجل اجتماعي ذكي وأب عطوف وصديق مخلص.

و يبدو أن الطبيعة قدر أرادته على أن يكون إنسان شريفا، ولكن التجارب والمحن التي صادفته قد ساهمت -ولابد – من طغيانه الجامح ومكره الخالي من الثقافة "[3].

ولا نستطيع أيضا التكلم عن تنازل يوسف باشا عن الحكم ما لم نتطرق لثاني أهم شخصية وهو علي القرمانلي الثاني .

---

[1] رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عين الدراسات للبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب ن، د س ن، د ط، ص 231.

[2] ايتوري روسي ، مصدر سابق ، ص 373.

[3] روسي، مصدر نفسه، ص 373.

ب) علي القرمانلي الثاني :

هو علي ابن يوسف باشا القرمانلي ، وهو اكبر أولاده وقد تولى الحكم في طرابلس الغرب بعد عن تنازل والده عن الحكم ، وهذا كان في شهر أوت سنة 1832م ، وقد بذل جهدا كبيرا للمحافظة على حكمه ولكنه لم يوفق[1].

- تنازل يوسف باشا عن الحكم لصالح ابنه علي الثاني 1832م:

بذل يوسف باشا كل جهوده لقمع الثورات وإخراج البلاد من الحالة السيئة الاقتصادية التي تزداد كل يوم، إلا انه لم يستطع تحقيق ذلك.

وقد تأكدا يوسف باشا انه لا يستطيع على مواصلة الحكم ، وهذا بعدما رأى انه خذلا من طرف محاربه وأيضا الشعور بالضغط من طرف قناصل الدول الأوروبية ومطالبتهم بديون رعاياهم .

فقام يوسف باشا وأعلن انه لم يعد قادرا على النهوض بأعباء الحكم، وانه يرغب في أن يسند الأمر إلى أحسن أبنائه وهو علي[2].

وفي يوم 12 أوت 1832م عقد يوسف باشا اجتماعا خطيرا في بهو الاجتماعات الكبير حضره إلى جانب أولاده و وزرائه والزعماء والأعيان والعلماء ، وقرر الباشا أمامهم انه أصبح متعبا ويرغب في قضاء بقية أيامه في راحة وهدوء ، وانه لذلك يتنازل عن العرش لمصلحة ابنه.

وأدى يوسف باشا بعد هذا التصريح يمين الولاء بين تأثر الحاضرين لأبنه علي رئيس الدولة الجديد[3].

---

[1] الطاهر احمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ط 1، ص 234.

[2] اتوري روسي ، مصدر سابق ، ص 407.

[3] رودولفو ميكاكي ، مصدر سابق ص 239.

وقد جرت هذه الأحداث بعدما وضح يوسف باشا ذلك بتفصيل في الاجتماع أسباب تنازله عن الحكم.

وقد أعلن يوسف باشا وعيناه تذرف بالدموع وقال:

ابني العزيز وخليفتي الآن أزيل العبء الثقيل الذي حملته على كتفي والقي به عليك مفضلا أن أحيا في سكينة لأراك على عرشي.

أوصيك أن تعمل بحماس للقيام بما يأمر به قراننا الكريم ونبينا ولا تحكم وفقا الأهواء لان سقوط وخطيئة حكومتي إنما حدثتا بسبب ذلك.

ثم طلب يوسف باشا من علي بعد ذلك، أن يحب جميع أخوته الذين أمروا على التعاقب بأن يطيعوه بإخلاص و ولاء.

وقدم له المفتي مصحفا وكتابا للسنة، ثم قام يوسف باشا بأداء يمين التخلي عن السلطة وتبعه علي بإعلانه تكريس جهوده للمصلحة العامة ورخاء رعاياه.

وبأن يظل وفيا للقوانين وختمت مراسم أداء القسم، بأن قام أعضاء الأسرة الحاكمة والديوان بأداء اليمين أيضا.

ثم قلدا الباشا الجديد في النهاية قفطانا وسيفا وهما الشارة التقليدية للسلطة من السلطان العثماني.

وقام بتعين بعض من موظفيه وعين أخاه المباشر إبراهيم بايا ، آما أخواه الآخران مصطفى وعمر فقد أعطيت لهما قيادة مشتركة للقوات[1].

واحتفظ محمد الدغيس بمنصبه كرئيس للوزراء وبهذا الاحتفال ، تخلى يوسف باشا القرمانلي عن نصيبه في صنع تاريخ طرابلس لأنه ومنذ نهاية الحركة وفي الحقيقة هي موته في سنة1838م.

[1] كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي ، تر د.عبد القادر مصطفى المحيشي ، مرا د.صلاح الدين السورالي ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، طرابلس ، 1988م ، ط 1 ،ص 186.

ظل الباشا اسميا بعيدا عن الأنظار متأملا بألم الانهيار السريع للأسرة القرمانلية الذي رفع رأسها إلى قمته أثناء العقدين الأولين لحكمه .

وتمت الموافقة على اختيار علي كباشا من قبل غالبية أعضاء الديوان للأسباب التالية:

- كونه اكبر أبناء يوسف باشا الأحياء وطبقا لحق البكورة في وراثة العرش على الأساس التي أقامت عليه الأسرة من قبل مؤسسها احمد باشا ، وقد كان اختياره شرعيا.
- تقدم يوسف باشا في السن مما جعله يفقد الحسم والسيطرة على مقاليد الأمور التي تميزت بها السنوات السابقة من عهده، في حين تتطلب المشاكل الاقتصادية والسياسية الراهنة للبلاد المبادرة والحزم والقوة ، وتتوفر هذه الصفات في علي الذي أظهرها خلال الفترة التي أمضاها واليا، حيث شهدت على سبيل المثال الطريقة الناجحة التي أدار بها حملة إخضاع ثورات في سنة 1826 وسنة 1831م.
- وعلاوة على ذلك فقد كان علي يتمتع بشهرة تعليمه الجيد وقدراته الفائقة على الحكم.[1]

"وهكذا شاء القدر ان يتنازل يوسف باشا القرمانلي عن الحكم مكرها بعد أن عمل المستحيل كما رأينا في سبيل الوصول إليه .

ومن غرائب الصدف أن نجد إن يوسف باشا كما قتل شقيقه حسن يتعرض هو لمحاولة القتل من ابنه محمد ، وكما ثار هو على والده ، نجد أن ابنه محمد يثور عليه ،كما يحاول ذلك ابنه احمد أيضا ، وكما تنازل والده عن الحكم في حياته لأحد أبنائه وتوفي بعد ذلك بسنيين قليلة ، نجده هو أيضا يتنازل عن الحكم لأحد أبنائه ويتوفي بعد تنازله بسنين قليلة.

كما أن القدر أراد بذلك أن يبين له فظاعة ما عمل في حياته قبل مماته ولكن بالرغم من كل ذلك فلقد هوا نجم يعد في نظري أعظم نجوم الأسرة القرمانلية ،حيث كان في أوائل عهده شجاعا جريئا فرض إرادته وأعلى مشيئته على كثير من الدول التي كانت تفوقه من حيث العدد

[1] كولا فولايان، مصدر سابق، ص ص 186،187.

والعتاد،كما جعل لدولته مكانة مرموقة بين دول العالم بالرغم من صغر حجمها وقلة أدوات الفتك والدمار فيها"[1].

وكما لاحظنا في هذا الفصل بأن كل هذه الظروف لعبت لعبتها مع يوسف باشا وأجبرته على ترك السلطة.

[1] عمر بن إسماعيل ، مرجع سابق ،ص 267.

الفصل الثاني :

نهاية الأسرة القرمانلية والتدخل العثماني الثاني في طرابلس الغرب .

المبحث الأول : الصراع بين علي باشا الثاني وأبناء أخية

المبحث الثاني : التدخل العثماني .

المبحث الثالث : المجابهة العسكرية بين الزعامات المحلية والولاة الأتراك .

المبحث الأول : الصراع بين علي باشا وأبناء أخيه

أ) ولاية علي باشا (1832-1835)

بعد تنازل يوسف باشا عن الحكم خلفه إبنه على القرمانلي الثاني وذلك في أوت 1832 م"ولما تفاقم الخطب رئيس يوسف باشا من النجاح وتنازل عن ولايته لإبنه علي بيك أملا في حصول أمنيته الأهالي فيه، وانقيادهم إليه، وأطلقته المدافع إعلانا لولايته" .[1]

وقد بذل جهده من أجل نشر النظام والمن في البلاد، ولكن بالرغم من أن والده قد تنازل عن الحكم له إلا أن السلطان لم يهتم بتوليته حتى عام 1833م، غير أن أهل البلاد من طرابلس أصروا على عدم الاعتراف بولايته .[2]

وعند مبايعته أعلن على باشا نبأ اعتلائه الحكم ببيان وعد فيه بتطبيق العدالة والعفو ودعا المنشقين إلى السلم والمصالحة، وعين أخاه إبراهيم قائدا للجيش كما بايعه كل من العلماء والأعيان، وكان منصبه الوزراء من نصب محمد الدغيس .[3]

كما أعطى لهم حرية النقاش، ولتأكيد حبه للجميع أقسم لهم على القرآن الكريم بأنه لا يحمل أي حقد أو كراهية لأي فرد من أفراد شعبه وأنه يعاملهم جميعا كأبناء له، ثم أرسل رسالة التي تناضل الدول الأوربية يعلمهم بتوليه الحكم خلفا لوالده، وبأن الصداقة والمحبة التي كانت بين دولهم وإيالة طرابلس ستزداد قوة، كما أنه يعترف فيها بجميع المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها هذه الدول مع والده .[4]

---

[1] أحمد نائبه، مصدر سابق، ص 337 .

[2] الشيخ رأفت، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (د.ط) عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، (د.ت)، ص 319 .

[3] محمد الدغيس، هو أخو حسونه الذي لجأ إلى فرنسا، ويعتبر الوزير ليوسف باشا إلا أنه في ذلك الوقت فقد بصره وانصرف عن الوظيفته، انظر : روسي، مصدر سابق، ص 408 .

[4] عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 273 .

ومن بين الذين قدموا التهنئة لعلي باشا القرمانلي قنصل دولة الإنجليزية بالإضافة إلى قنصل فرنسا سكوبيل، والذي يعتبر أهم المؤيدين لعلي باشا والأسرة القرمانلية،[1] وتوجه على القرمانلي ببيان لأهالي طرابلس، وقام بوعدهم باتخاذ كل الإجراءات ، وذلك من أجل نشر الأمن والسلام في البلاد، وإحلال العدل بين رعاياه، كما وعدهم بالعفو عن الذين تمردوا وعصوا والده، ومقابل هذا هو أن يخضعوا له والإعتراف به، وقد قام بتحرير البيان في 12 أوت 1892م .[2]

ومن أهم ما قام به هو متاجرة مع أقاليم السودان كما نجح في مشاريعه التجارية الأخرى، وقام بزراعة الأراضي الواسعة والتي كانت بورا من قبل، وأعاد الحركة التجارية، ضف إلى هذا قام بتخليص الأيالة من ديونها والتي كانت تقدر في ذلك الوقت بنصف مليون .[3]

كما كان القنصل وارنجتون يشكل خطرا عليه، حيث كان يسكن في المنطقة الريفية، وكان يقوم بتحريض الثوار الذين كانوا ثائرين ضد علي القرمانلي، وحرض أيضا ماكولاي وهو قنصل أمريكا إلى كراهيته .

غير أن تدخل غومة ساعد علي باشا، إذ أعده ببعض القوات للدفاع عن المدينة، وقد نجح بهذه المساعدة إذ يمكن من ضم كل المتمردين ووقوفهم إلى جانبه .[4]

ب) الصراع بين علي باشا ومحمد بيك :

لم يهتم الثوار بما كان يفعله علي بيك من محاولات لتثبيت دعائم حكمه الجديد ضد دوافع ثوارهم، وخاصة أن محمد بيك القرمانلي زعيم الثوار وجد الفرصة مواتية لتحقيق أطماعه في الحكم

[1] أحمد النائبه، مصدر سابق، ص 339 .
[2] فيرو، مصدر سابق، ص 426 .
[3] مصدر نفسه، ص 427 .
[4] مصدر نفسه، ص 428-429 .

قد قسم الشعب في طرابلس إلى فريقين أحدهما داخل أسوار المدينة، ويناصر علي بيك، والثاني خارج المدينة ومعظمه من أهل الساحل والمنشية يناصرون محمد بيك، فحاول علي بيك أن يهدد الثوار باستيلاء على أملاكهم داخل المدينة، فأصدر قرارا بمصادرة أملاك كل ثائر وبيعها، وحينما سمع محمد بيك بهذا القرار أصدر هو أيضا قرارا مماثلا لقرار علي بيك .[1]

غير أن هذه القرارات التي اتخذها علي بيك ومحمد بيك لم تجدي أي نفع، فعمل محمد بيك علي استمالة زعماء البلاد، والتي تقع خارج المدينة، فتمكن من الحصول على وعد من غومة المحمودي بمساعدته، ولما رأى على الباشا مثل التحالف عمل على التفرقة بينهم، فاتصل بغومة المحمودي وطلب منه مساعدته والقتال بجانبه على أن يتنازل له عن حكم الجبل، فوفق غومة على ذلك وأرسل بيعته وأعرب عن استعداده للقتال،[2] كما أرسل إليه الباشا أخاه إبراهيم القرمانلي مع قوات وهبات وهدايا، وعند وصوله إلى خبراته استقبل أعظم استقبال، في حين لم تبث الأخبار التي تنقلت حول عظمة هداياه أن استعملت كل المتمردين في الوقوف إلى جانب علي باشا .[3]

وقد أدت سياسة علي باشا الحكيمة التي جعل قوة الثوار قاصرة على أهالي المنتشية والساحل وكان من الممكن أن يجعلهم يفقدون حماستهم، لو لم يشجعهم قناصل الدول الأوربية، وفي الأيام الأخيرة من السنة 1833م، أقلع إبراهيم بيك بستمائة رجل ومائتي حصان وأربعة مدافع من طرابلس إلى مرسى "زوارة"، وبعد أن أبحر بسلام مع رجاله انضم غومة إليه .[4]

والحقيقة أن استيلاء إبراهيم وغومة على الزاوية لم يكن بالأمر السهل فلقد دافع الثوار عنها دفاعا مستميتا وتم استردادها أكثر من مرة، غير أن هزيمة الثوار في زنزور كانت شديدة حيث انسحبوا من المعركة تاركين الزاوية في يد إبراهيم بيك وغومة، والذي حدث هو أنهما بعد

[1] عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص 275 .
[2] مرجع نفسه، 276 .
[3] فيرو، مصدر سابق، ص 427-429 .
[4] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص 242-244 .

انهزام الثوار وسقوط مدينة الزاوية في أيديهما، قررا الرحمة، ثم رجع غومة إلى بلده بينما رجع إبراهيم إلى طرابلس دون أن يقوم بأي عمل حربي .[1]

ولقد كان لهذا الإنتصار أثر كبير في تقوية الروح المعنوية لعلي باشا وأنصاره كما استطاع غومة إقناع عبد الجليل سيف بالإنضمام إلى علي باشا حيث تعهد بتعينه بيكا على فزان وبعدم مطالبته بضرائب، وأيضا اعترف الحاج أحمد المريض زعيم ترهونة بحكم علي بيك، وانضم إليه، وهكذا أخذ موقف علي بيك يتحسن، وحينها اعترفت الدولة العثمانية بشرعية حكمه، وأرسلت إليه فرمان التوليه في أواخر سنة 1834م .[2]

ووصل به محمد شاعر أفندي ونشر الفرمان السلطاني الذي ينادي بتثبيت علي باشا في وراثة العرش الذي انتقل إليه من والده، وسلمه حلبة التنصيب الفخرية التقليدية، وجرت مراسيم هذا الاحتفال في 27 سبتمبر بحضور أعين المدينة وأعضاء السلك القنصلي بكامل نيابة،[3] وأرسلت نسخ من هذا الفرمان إلى زعيم الثوار والي بعض زعماء البلاد، وكان موقف بعض القناصل الأوربية من هذا النزاع في بداية الأمر، وخاصة عندما طلب منهم يوسف باشا تغيير الوالي متحفظا وقرروا الرجوع في ذلك إلى حكوماتهم قبل الإدلاء برأيهم، غير أنهم بعدما تنازل يوسف باشا لإبنه عن الحكم أظهر بعضهم الميل إلى علي بيك وبعض الآخر إلى محمد بيك، وكان أشد القناصل تحمسا للثائر هو القنصل الإنجليزي وارنجتون لما كان بينه وبين والد علي باشا من عداوة، حيث وأنه اتخذ مسكنا له في المنشية بين الثوار، واستغل الثوار فرصة وجوده بينهم فقويت علاقات الود والصداقة بينهم .[4]

وكذلك كان القنصل الأمريكي من بين القناصل الذين كانوا يؤيدون الثوار بحيث نجد في الوقت الذي كان فيه القنصلين الإنجليز والأمريكي يؤيدان الثوار، نجد أن القنصل الفرنسي شوبيل يؤيد علي بيك ويعترف به علي الفور، هذا هو موقف بعض القناصل من هذا النزاع قبل مجيء فرمان التوليه لعلي القرمانلي من السلطان العثماني أي قبل سنة 1834م، أما بعد أن

[1] عمر علي بن اسماعيل، مرجع سابق، ص 282 .
[2] مرجع نفسه، ص 282-283 .
[3] فيرو، مصدر سابق، ص 432 .

اعترفت الدولة العثمانية بشرعية حكم علي باشا، فقد اعترفت به جميع القناصل بناء على تعليمات حكوماتهم.[1]

حيث تحتم على وارنجتون ونظرا للتعليمات التي تلقاها من حكومته إلى إعادة العلاقات الرسمية مع علي باشا، ولهذا طلب بتوجه إليه بصحبة المندوب التركي، وقد استقبل استقبالا حافلا وقدم تأكيدات على نوايا الحكومة البريطانية الطبية نحو حكومة نيابة طرابلس الغرب .

كما حاول وارنجتون انتهاز فرصة لاستعادة هيبته، فعرض وساطته بين الثوار والباشا، لكن شاكرا أفندي رفض وساطة أي أجنبي فغضب وارنجتون لهذا الرفض و لم يف بوعوده واستمر في تشجيع الثوار المقاومة . [2]

أحدث حقا اعتراف السلطان برئاسة على الدولة شيئا من الخور في نفوس الثوار في بادئ الأمر، فطلب أهالي "تاجوراء وزنزور" إبلاغهم بالفرمان وأعلنوا استعدادهم للدخول في طاعة الأمير الشرعي.[3]

أما القنصل الفرنسي شوبيل فإنه استمر في مساندة علي باشا، وكان يتضايق من تصرفات القنصل وارنجتون كما أنه سعى لإقناعه بضرورة التعاون من أجل تحقيق السلام في البلاد، وعندما فشل في هذا اتصل بحكومته شارحا لها المتاعب التي يواجهها من وارنجتون، هذا ما جعل السلطات الإنجليزية تصدر أوامر إلى قنصلها بالرجوع إلى المدينة طرابلس، حيث ازداد التوتر بين القنصل وارنجتون وقناصل شوبيل وحينما علمت الحكومة الفرنسية بتطور هذا النزاع اقترحت على الحكومة الإنجليزية نقل كل من القنصليين لإنهاء هذا المشكل .[4]

واستبدلهما بقنصليين جديدين بغية التوصل إلى توحيد للجهود في طرابلس الغرب، وبينما قامت فرنسا بناء على الإتفاق، باستدعاء شوبيل وأرسلت دي بوربولون بديلا فإن الإنجليز تركوا وارنجتون .

---

[1] نفس المرجع، ص 285 .

[2] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص 252 .

[3] المصدر نفسه، ص 252 .

[4] عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص 291 .

وكان كل شيء يشر الى انه على الرغم من الإتفاق على المساعي المشتركة في إيالة طرابلس الغرب، فإن التنافس الدولتين ضل مسيطرا حيث أن كل واحدة منهما بقيت تسعى إلى تحقيق غاياتها . [1]

ومن أجل تفريق الثوار أرسلته نصوص الفرمان القاضي بتعيين على القرمانلي حاكما على الإيالة إلى قادة الثوار والى عدد كبير من قادة القبائل المعاطفين، ويضاف إلى هذا أن السلطان أرسل إليهم هدايا أملا بذلك أن يستميل قلوبهم إلى تأييد على باشا، كما بذل شاكر أفندي جهود ليقنع الثوار لكنهم أصروا على مطلبهم بتنحية علي باشا . [2]

[1] نيكولاي إيليتش بروتشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر ، تق، دكتوراه عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (د.ت)، ص 254 .

[2] مرجع نفسه، ص 255 .

المبحث الثاني : التدخل العثماني في طرابلس الغرب

أ) الوضع قبل الحملة :

نظرا للصراع الذي كان بين علي باشا ومحمد القرمانلي وازدياد أطماع الدولتين الإنجليزية والفرنسية في السيطرة على طرابلس الغرب،[1] قرار الباب العالي وضع حد لهذه المنافسة الأوربية على الولاية[2] وهذا حسب التقرير الذي أمده شاكر أفندي إلى الصدر الأعظم على أحوال طرابلس الغرب، حيث جرت سلسلة من المداولات السرية بين كبار موظفي الباب العالي، بوضع خطة تحدد التصرفات الإمبراطورية العثمانية بالنسبة لطرابلس الغرب وأن يتم ذلك بكل سرية .[3]

ومن أجل صرف الغرب علي القرمانلي تقرر في الخطة توجيه فرمان سلطاني بتعيينه في إيالة طرابلس الغرب، كما تقرر أيضا إلقاء القبض على المقاومة في الإيالة .[4]

ب) حملة نجيب باشا العسكرية على طرابلس:

وفي 20 يوليو 1835 وصلت سفينة إلى طرابلس على ظهرها شاكر أفندي مع أسطول عثماني يتكون من إثنان وعشرون قطعة بحرية،[5] ومعه فرمان سلطاني حق على القرمانلي في السلطة علي طرابلس الغرب، حيث أستقبل الأسطول التركي بكل حفاوة وطلقات مدفعية للتحية، مؤكدا بأن الأسطول التركي جاء إلى طرابلس الغرب من أجل وضع حد للعصاة والفوضى وإقرار الأمن والسلام في الولاية .[6]

---

[1] بروشين، مرجع سابق، ص 255 .

[2] اتوري موسى، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر : خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب مكتبة الإسكندرية، (د.ت)، ص 412 .

[3] بروشين، مرجع سابق، ص 256 .

[4] مرجع نفسه، ص 256 .

[5] روسي، مصدر 256 .

[6] بروشين، مرجع سابق، ص 257 .

وفي 27 مايو تمت عملية الإنزال التي كانت تتألف من 3500 مسلح وفرقة مدفعية تتوفر على 12 مدفعا وعدد من قاذفات اللهب .

وفي 28 مايو دعي علي باشا القرمانلي إلى سفينة القيادة،[1] مع حاشيته من المقربين النبلاء والوزراء، ولما جعل علي باشا صحبة 23 شخصا إلى السفينة أمر مصطفى نجيب باشا[2] باعتقالهم وابقائهم هناك، أما نجيب باشا فاتجه صحبة فرقة كبيرة من الجند إلى القلعة، وكان ينتظره في القصر شاكر أفندي الذي جمع رجال الأفناء الحكماء والعلماء، والأعيان المدينة، فتلا نجيب باشا أمامهم فرمان السلطان الذي يعينه واليا على طرابلس الغرب، كما أعلن زعماء المدينة والمنشية خضوعهم وولائهم لنجيب باشا .[3]

وفي 29 مايو فتح باب المدينة الرئيس الذي كان قد سند بجدار طيلة ثلاث سنوات، وفي اليوم التالي فر محمد بين المال فوق سفينة انجليزية، أما محمد القرمانلي، فإنه هرب، وتم تجريد أسلحة المنتشية في نفس اليوم .[4]

وفي أول يونيه 1835 وجه نجيب باشا اشعارا رسميا إلى جميع القناصل لإخبارهم بتوليه السلطة، ودعاهم إلى أنة يستمروا في العلاقات الودية التي كانت بينهم الإيالة، وفي 2 يونيه 1835 انتشر خبر بأن محمد بيك اتنحر بسبب الكارثة التي حلت به وبأسرته وفي المساء غادرت أسرت سيد علي القلعة حيث انتقلت بكل ما تملكه إلى بيت ال الدغيس .[5]

أما إبراهيم دعمورة ولد يوسف القرمانلي فقد قبلا الخضوع والدخول في الطاعة السادة الجدد، وظل يوسف القرمانلي في بيته، كما ظل عثمان حاكما على برقة .

---

[1] روسي، مصدر سابق، ص 412 .

[2] مصطفى نجيب : أول والي علي طرابلس الغرب بعد عهد القرمانلية، فجاء إلى طرابلس في محرم 1251ه/1835م، في اسطول كبير واحتفل به قدمه، وقام بارسال بقية الأسرة القرمانلية إلى الأستانة، أنظر : الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس الفتاح العربي إلى نهاية العهد التركي، 1390ه-1970م، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص 237 .

[3] بروشين، مرجع سابق، ص 258-259 .

[4] شارل فيرو، مصدر سابق، ص 442 .

[5] شارل فيرو، مصدر سابق، ص 443 .

أما السفينة التي ركبها علي باشا ووزيره وصهره محمد الدغيس وصهره الآخر سليم عاهية، وابنه الكبير سليمان بيك وبعض الخدم فقد غادرت طرابلس يوم 2 يونيه 1835 في طريقها إلى الأستانة، وهكذا أفلت شمس السيادة القرمانلية، وإذا لم يكن حكم هذه الأسرة لامعا متألقا، فقد كانت أهمية بارزة، وقد مثلت سيادة هذه الأسرة امتدادا طويلا لعهد القرصنة الذي استمر طوال ثلاثة قرون على سواحل الشمال الإفريقي .[1]

وهكذا فإن ايالة طرابلس قد انتقلت إلى مجرد ولاية عثمانية .[2]

[1] روسي، مصدر سابق، ص 412 .

[2] فيرو، مصدر سابق، ص 443 .

المبحث الثالث : المجابهة العسكرية بين الزعامات المحلية والولاة الأتراك

أ) إعادة السيطرة العثمانية على طرابلس واحتلالها لدواخل طرابلس :

لم تكن السهولة التي تخلص بها مصطفى نجيب باشا من الأسرة القرمانلية بأي صورة من الصور شاهدا على حالة الإرتياب وعدم الثقة، التي كانت تحيط بالأتراك، فمثلما هو الأمر بالنسبة للأسرة القرمانلية كان الأتراك الذين حلوا محلها غرباء بالنسبة للأهالي ومغتصبي للسلطة في البلاد[1]

وفي سنة 1835م، لم يكن الأتراك يسيطرون على غير طرابلس المدينة والمنتشية، حيث تطلب الأمر انقضاء 24 عاما (1835-1858م) حتى يضمنوا لأنفسهم السيطرة على الساحل والمراكز الداخلية، والقضاء على المقاومة العنيدة التي بدأها زعماء الدواخل من أمثال عبد الجليل وغومة .[2]

وفي سنة مايو 1835م، جاء إلى نجيب باشا الشيخ غومة بن خليفة المحمودي، في جماعة من رؤساء المحامين، وكانوا ثائرين على الحكم الفاسد الذي كان قبل نجيب باشا، حيث كان مجئ الشيخ غومة أكبر دليل على أنهم عانوا من الظلم والفساد الذي كان منتشرا، بدليل أنهم لما أنسوا من نجيب باشا الركون إلى السلم والهدوء، جاءوا إليه من تلقاء أنفسهم، ولكن نجيب باشا لم يتنازل عن تركيبته، وأتى عليه أن يقابل الرجولة بمثلها، فأذن لرفاق غومة بالرجوع إلى أهلهم وحبس الشيخ غومة وبقى محبوسا حوالي أربعة أشهر إلى أن أطلق سراحه أيام (محمد رانق) .[3]

فعلى أثر الإستلاء علي طرابلس شرع نجيب بفرض النظم القاسية في البلاد فاستأنف نظام الضرائب المرهقة في الولاية، وأثار غدره بغومة بن خليفة، وقد تجسد هذا السخط في بادئ المر في المقاومة السلبية سكان الشريط الساحلي، فالقبائل المقيمة في منطقة طرابلس، أمسكت عن

[1] بروشين، مرجع سابق، ص 265 .
[2] روسي، مصدر سابق، ص 265 .
[3] الزاوي، مصدر سابق، ص 238 .

قدوم بمحاصيلها إلى أسواق العاصمة، وصارت تتوجه إلى تاجوراء، وسرعان ما صارت تاجوراء مركزا هاما للتجارة .[1]

ثم إن اعتقال غومة بن خليفة الذي كان الفرنسيون يخططون أن يصلوا بمساعدته إلى إعادة الأسرة القرمانلية، قد أثار الإنفعال في الأوساط الحاكمة بفرنسا فقامت بالضغط على الباب العالي، كما امتنع قادة الدواخل في ولاية طرابلس وشيوخها عن التعاون مع مصطفى نجيب، كل ذلك انتهى بالأتراك إلى استبدال الوالي الأول نجيب باشا .[2]

وقد خلفه محمد رانق باشا[3] الذي وصل إلى طرابلس في 08سبتمبر 1835، وقد أظهر نشاطا أكثر من سلطة، وأطلق على الفور غومة، ووجه في أكتوبر حملة عسكرية لإحتلال بنغازي،[4] وعند سماع عثمان بلك بهذا النبأ هرب من بنغازي والتجأ إلى مالطا، حيث استبدله محمد رانق بأخيه مصطفى، وفي 24 نوفمبر 1835 وصل مصطفى بيك إلى بنغازي مع فرقة من الجنود، فنزل بها مع حاشيته وجنوده دون أن يلقى أية معارضة فاستولى على قلعتها، ثم بسط سيطرته على باقي برقة، وقام باحتلال درنه وواحة أوجلة.[5]

وكانت تاجوراء التي تقع على بعد أميال قليلة من طرابلس لم تخضع خضوعا تاما للأتراك فقد هاجمها محمد رانق، ونهبها في 31 يناير 1836، ومات من سكانها في تلك المعركة حوالي 200 شخص، وقامت بعض البلدان الأخرى الواقعة في ضواحي طرابلس بإعلان خضوعها مثل جنزور الواقعة على الساحل الغربي، كما دفعت هذه البلدان الضريبة المقررة.[6]

---

[1] بروشين، مرجع سابق، ص 265 .

[2] مرجع نفسه، ص 266 .

[3] محمد رانق : عين واليا عن الإستانة، ووصل إلى طرابلس جمادى الول سنة 1251ه أغطسس 1835م، وهو الذي أطلق غومة من سجن نجيب، أنظر الزاوي، مصدر سابق، ص 423 .

[4] روسي، مصدر سابق، ص 423 .

[5] فيرو، مصدر سابق، ص 452 .

[6] روسي، مصدر سابق، ص 423 .

وفي 22 يونيو 1836، وصلت إلى مياه طرابلس فرقة بحرية تركية بقيادة الكابروان طاهر باشا،[1] وكان مكلفا باستلام منصب الوالي خلفا برانق باشا الذي وقعت بينه وبين القنصل الفرنسي (دي بوربلون de bourboulon) خلافات واصطدمات عنيفة، ووصلت صحبة طاهر باشا مجموعة من الجنود تتكون من 3 آلاف جندي نظامي، بينهم 300 من الفرسان للقيام بحملة مخططة على مهارته، وكان برافقة نامق باشا قائد الجيوش البرية،[2] وكتب إلى جميع الجهات يطلب من الناس الخضوع والتقدم طاعة له، وكان عثمان أغا الأدغم مستقلا بمصراته، وضرب موعدا للرد عليه، وانتهى الموعد و لم يجبه أحد وبعد تسعة أشهر من إنذاره حجم على مصراته برا وبحرا، فلقيه عثمان الأدغم في جموع حاشدة، فتغلب على الأدغم ففر إلى ترهونه،[3] ورجع طاهر باشا إلى طرابلس، وبعد رجوعه بأيام غزا ترهونه فأخضعها وقبض على عثمان أغا وابنه،[4] وعند عودة طاهر إلى طرابلس، قبض في يده على مقاليد الإدارة بالرغم من أن محمد رانق كان لا يزال يعتبر هو حاكم الولاية الرسمي، وأظهر ميلا لمعاداة الأوربيين وللتكبر والوقاحة حتى من القناصل، وتظاهر بأنه يعتبر المعاهدات التي أبرمها القرمانليون قد أصبحت طاغية، وفي سنة 1837 خرج طاهر باشا بنفسه ضد فريان، حيث تغير وضعه، فمن رتبة قيودان باشا صار يلقب بلقب الحاكم العام لطرابلس الغرب غير أن الحظ لم يحالفه كثيرا في حملته، دون أن يتمكن من زعزعة غومة المحمودي في مكانته، و لم يلبث أن اتبع هذا المشكل عزله من منصبه وتعيين حسن باشا الجشملي .[5]

اتبع حسن باشا سياسة المساومة، وكان يأمل في الحصول بالطرق الودية، على ما لم يحصل عليه سلفه بالحملات العسكرية الباهضة، وحاول إقامة علاقات مع الزعماء، كما سعى للالتقاء

[1] طاهر باشا : أتاه التعيين واليا على طرابلس من قبل السلطان محمود الثاني فيلا أواخر القعدة، سنة 1252ه مارس سنة 1836م، أنظر : الزاوي، المصدر سابق، ص 242 .

[2] روسي، مصدؤ سابق، ص 424 .

[3] ترهونة : كلمة بربرية كانت تطلق على قبيلة بربرية من هواة تسكن تلك الناحية، أنظر : الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، 1968/1388م، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، ص 81 .

[4] الزاوي، مصدر سابق، ص 241 .

[5] فيرو، مصدر سابق، ص 454-455 .

بالشعب والظفر بمودته وعطفه،[1] ومع وصوله بدأ التوكيد في خطب الجمعة التي تلقى في المساجد على ان الأتراك والعرب يدينون بدن الواحد وان عدوهم مشترك هم الأجانب والفرنسيون بالدرجة الأولى، وأطلق إشاعة تقول بأن حسن باشا إنما جاء ليقدم العون للانتقاء الجزائريين الذين يناضلون ضد الغزاة الفرنسيين .[2]

كما قام حسن باشا بارجاع المعدات الحربية إلى غومة التي سلمها له في الماضي، ونفى عثمان أغا زعيم مصراته وابنه وثلاثة من الشيوخ إلى الأستانة، وظن أنه سيحفظ النفوذ التركي في الدواخل "أكتفاء بالعلاقات الودية لكن الروح الثورية عند السكان قد عادت أبى الالتهاب بدلا من الخمود[3].

وفي أوت 1838م وصل الأسطول التركي بقيادة احمد المشير، وربط وصوله بإمكانية فرض إدارة الأتراك المباشرة على تونس و بدا التدخل في شؤون الجزائر وفي سبتمبر 1837 ثم في تونس، و بأمر من مصطفى باي، تنفيذ الإعلام بالوزير الأول تابو شاكر الذي كان على اتصال بالأتراك والذي كان منظم التدخل التركي المومع في الجزائر.

كما اخذ الأتراك يطبقون سياسة أكثر مرونة بنسبة للأهالي، حيث أطلقوا سراح عثمان الادغم الذي كان أسيرا في اسطنبول حوالي سنة و أعادوا إلى بلاده مضمورا بالهدايا النفسية، وقام السلطان بهذا المسلك ليكسب شعبية بين السكان.[4]

وسلك أيضا حسن باشا مسلك التنازل أمام عبد الجليل و غومة، ففي مجرى المحادثات معها تمكن الوالي التركي من الاتفاق على أن يدفع عبد الجليل كل سنة للإمبراطورية العثمانية 125الف قرش و [5]يدفع غومة بن خليفة 8 ألاف قرش، ولكن لم يصل الوقت حتى قام حسن باشا بمطالبتهم بتسديد الديون المستحقة عليهما من الماضي وهذا ما أدى إلى قيامهما بقطع

[1] روسي، مصدر سابق، ص 429 .
[2] بروشين، مرجع سابق، ص 272 .
[3] روسي، المصدر السابق، ص 430.
[4] بروشين، المرجع السابق، ص 273.
[5] المرجع نفسه، ص 274.

المفاوضات، وعلى هذا فان سياسة حسن باشا على الرغم من أنها هدأت التناقض بين الأتراك و الأهالي و خاصة فيما يخص الصراع على الفرنسيين لم تتوصل إلى تحطيم صمود الطرابلسيين في إرادتهم الدفاع عن استقلالهم.

و لم يمضي الوقت طويلا على وجود حسن باشا على رأس الولاية حتى استبدل في 30 أوت 1838م بعشقر علي باشا،[1]وهو رجل معروف بقوته، وعزمه، وقد جرب في البداية استخدام الطرق و الأساليب الودية في السيطرة على الولاية، ولكنه لم يلبث آن نجا إلى القوة و العنف، بعد أن فشل في سياسة اللين و المهادنة و كان الوضع العام الذي وجد عليه طرابلس سيئا، و لم يكن الأهالي يرغبون في الخضوع للأتراك.

وفي 15 سبتمبر وصلت إلى طرابلس سفينتان تركيتان تحملان العتاد و الجنود و الفرسان، وأرسل عشقر علي باشا إلى بنغازي، و انتظر عشقر باشا الفراغ من عمليات ترميم حصون طرابلس و قلعتها، و اتفق مع الزعمين الرأسيين للدواخل عبد الجليل و غومة و اعتراف بسلطتها الذاتية بشرط دفع الضريبة، تتراوح قيمتها بين عشرين و ثلاثين إلف قرش.[2]

- نهاية عبد الجليل 1842م

في نهاية عام 1839 انقطعت العلاقات السليمة بين حكومة طرابلس وبين الزعماء. واستأنف عبد الجليل العمل على تهديد الدواخل، و توغل في المنطقة مسافة بنية غز وتلك المنطقة كانت إشاعات بعودة على باشا القرمانلي إلى حكم طرابلس والتي زاد من قيمتها و قوتها سفر الفرسان و المشاة، و عودتهم إلى الشرق قد ساهمت في إضعاف الهيبة العثمانية.[3]

[1] عشقر على باشا: عين من أستاذه واليا على طرابلس بعد حسن الجشملي وقدم اليها في اواسط جمادي الاخرة سنة 1204_1838م وأبدى نشاطا في إصلاح ما أفسده غيره، فأصلح بعض القلاع وانشأ قصرا للحكومة بارفلته، و مركزا حكوميا بابي نجيم و سماه الآثار المجيدية انظر: الزاوي، مصدر السابق، ص244

[2] روسي، المصدر السابق، ص 430.

[3] المصدر نفسه، ص 431.

وحينئذ قرر عشقر باشا اللجوء إلى القوة، واستطاع بواسطة احمد باشا الذي كان يلقب **(الجزار)** بسبب المذابح التي قام بها للأهالي أن يحتل الخمس ثم يوسع دائرة المناطق المحتلة حتى شملت غريان و ترهونة، بينما كان عبد الجليل يتقهقر وينسحب إلى الداخل.[1]

و هكذا فان اللواء احمد باشا قائدا القوات العسكرية في طرابلس، تمكن من إحراز انتصارات باهيرة في صيف سنة 1841 و اخضع ناحية تاكرونيه كلها و عزل ثواء سرت عن ثوار الجبل أي انه فصل بين عبد الجليل و غومة.[2]

وفي سنة 1842م، أغار عبد الجليل على هون و ودان، ووصل بعض جموده إلى سرت، فأرسل إليه عشقر عامل مصراته حسن بك البلغزي ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة عبد الجليل و قتل الكثير من رجاله،[3]وحين هزم لجا مع البقية من رجاله إلى مرتفع ما يزال يحمل اسمه حتى اليوم **(قارة عبد الجليل)** وظل يقاوم حتى النهاية**.** و قتل في هذه المعركة كما قتل اخوه سيف النصر، و ولدان لهذه الأخيرة، كما قتل مصطفى الادغم، ابن أغا في مصراته و احمد المريض شيخ ترهونة و ابنه و آخوه، و كان ذلك في أوائل جويلية 1842م وقطع رأس عبد الجليل توغلت قواته المسلحة في فزان تطاردها الجيوش التركية في سبتمبر اختل الأتراك مرزق فغادرت قبيلة أولا سليمان الولاية التي كان يرئسها عبد الجليل أراضي الولاية و بعد البطش عبد الجيل ة أنصاره ثم استبدال الوالي عشقر في يوليو بالحاكم العام محمد أمين باشا[4] و بقيت طرابلس الغرب وبرقة غير مطوعتين ففي الجبل الغربي ظل غومة يحكم مستقلا عن الأتراك**.**[5]

و بعد استيلائهم على مرزق عينوا عليها حاكما يدعى **(بكير)**، أما حسن البلغري و الذي منح لقب الباشا فتقلد منصب حاكم فزان مدة طويلة، كما انشئوا مركزا حصينا في سرت دم احتلالهم للمناطق الشرقية، و عرفت غرامس أيضا سنة 1843م السيادة التركية و كان الأهالي

---

[1] روسي، المصدر السابق، ص 431.

[2] فيرو، المصدر السابق، ص 458.

[3] الزاوي، المصدر السابق، ص 245.

[4] محمد أمين باشا: عين من الأستانة واليا على طرابلس في يوليو سنة 1842 و قدم إليها في سنة من جماد الأول 1258و عني ببعض الاصلاحات و انشأ بعض المرافق العامة، انظر الزاوي، المصدر السابق، ص 217.

[5] بروشين، المرجع السابق، ص 280.

قد قتلوا في الماضي أول قائد تركي أرسل إليها، ولكن الممثل الجديد لحكومة طرابلس، وهو اسود اسمه (يوكوبا) تمكن من التركز في الواحة و السيطرة عليها.[1]

ب) الصراع ضد غومة بن خليفة

في جويلية 1842م وصل إلى طرابلس الوالي الجديد محمد أمين باشا، وقد تأثر غومة لما وقع لزميله الثائر، فترل إلى طرابلس في أوت من نفس السنة لإعلان الطاعة، وقد استقبل استقبالا طيبا اتسم بالمجاملة و عومل بشيء من التقدير و الاحترام،[2]و لكن في 28 ديسمبر و بناء على أمر من اسطنبول و في منتصف الليل القي عليه القبض و أرسل على الفور فوق السفينة من حيث نفي إلى طرابزون حيث أشعل اعتقال غومة الاضطراب بين أهالي الجبل الغربي، فاحتكم المحامدين و غيرهم من قبائل المنطقة إلى السلام من جديد، و قاد المعركة المسلحة في هذه المرة واحد من أتباع غومة وهو علر الغرف،[3] باتجاه ككلة[4] وكان واثق من النصر على القوات المسلحة المتفرقة على الثوار،وهناك دارت معركة بين الأتراك و جبش الثوار، و تمكن من السيطرة عليهم و اتجهت جيوشهم بعد ذلك إلى يفرن،الواقعة على مسيرة أربع ساعات من مكان المعركة و أراد الأتراك أن يستولوا على يفرن لكن لم يكن في وسعهم فقد ابدي أهل المدينة مقاومة شرسة ضدهم على مدى يومين، وتكبد الأتراك خسائر فادحة وهم يقفون على التحصينات الجبلية للثوار.[5]

وفي مايو دعا احمد باشا إلى مقر قيادته زعماء الجبل، ووزع عليهم بكرم السخاء النقود و الرانس دون ان يبدى لهم المكيدة التي أعدها للقضاء عليهم و حين تجمع حوله كثير من الزعماء

[1] روسي، المصدر السابق ، ص 433.

[2] روسي، المصدر السابق، ص 433.

[3] بروشين، المرجع السابق، ص 282.

[4] ككلة: بلد في وسط الجبل نفوسة على حدود غريان الغربية، فيها حروب هائلة بين غومة و الترك، انظر: الزاوي، المصدر السابق، ص 292.

[5] بروشين، المرجع السابق، ص 282.

هاجمهم و قتلهم و أرسل منهم إلى طرابلس 65 رأسا، و بذلك أمكنه احتلال يفرن[1] ثم فساطو[2] و نالوت [3]و بينما كان احمد باشا في فساطوا على رأس قواته العسكرية، قام زعماء البربر الاباضيين في ككلة و يفرن بثورة عليه و نشبت معارك جديدة أخرى، وقتل احمد باشا بعض الزعماء، مما أدى إلى اعادة الهدوء إلى المنطقة.[4]

و نتيجة لعدد كبير من المعارك استولى الأتراك على مدينة جادو و قلعتها و ركزوا حاميتهم هناك، وبعد جمع الضرائب من الأهالي والتي أضيفت إليها مصايف العمليات الانتقامية، أوغل احمد باشا متجها إلى الغرب و استولى على نالوت.[5] وساد البلاد هدوء استمر سنة كاملة و في سنة 1844 فر ميلود ابن عم غومة، من منفاه بالبحر الاسود، ونزل بمالطا، ومنها انتقل إلى جربة واخذ يثير أهالي الجبل. كما قام احمد باشا بإخماد الثورة واحتل المنطقة الجبلية وهزم المتمردين، و انصرف الأتراك إلى التنظيم الإداري لمقاطعات المحتلة، حتى آن نشاطهم عند مناط الحدود قد أثار نوعا من الشك لدى احمد باي حاكم تونس و كذلك لدى فرنسا.[6]

[1] **يفرن:** مدينة من مدن جبل نفوسة تبعد عن طرابلس بنحو 171 كلم على طريق غريان واصل اسم بربري وهي الآن أحسن عواصم الجبل، انظر: الزاوي، المصدر السابق،ص 360.

[2] **فساطوا:** بلد كبير في جبل نفوسة، وهي إحدى عواصمه في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس بنحو 244ك،م و تعد من اكبر مراكز الجبل، انظر: المصدر نفسه ، ص 254.

[3] **نالوت:** مدينة من مدن جبل نفوسة تقع في نهايته الغربية و تبعد عن طرابلس في الجنوب الغربي بنحو 285كم انظر: المصدر نفسه، ص 328.

[4] روسي، المصدر السابق، ص

[5] بروشين، المرجع السابق، ص 283.

[6] روسي، المصدر السابق، ص 434.

وكانت العلاقات قد ازدادت تفاقما بين محمد أمين و احمد باشا، وقد اعتمد الباب العالي على الشرط القائل أن مدة وجود الوالي في منصبه تتحدى بناء على النظام الإداري الجديد بأربع سنوات، فسارع إلى استدعاء محمد أمين لتحقيق حدة التوتر في الولاية و عين محمد راغب باشا [1]في مكانه[2]الذي اصطحب عائلته معه، وكان محمد راغب حكيما و عادلا، عمل خلال ولايته على تطبيق النظام و لاحق المشاغبين في مناطق الجبل و فزان، وأسفر اصطدام قوته في تلك المناطق عن مقتل قائد الجيش اللواء احمد باشا، فكلف الباشا حملة بقيادة بشير بك لمهاجمة المتمردين في بلدة ككلة و تدميرها.[3]

وفي شهر جانفي 1848، ألحقت أضرارا فادحة بالمتمردين، و أرسل أربعا و عشرين راشا إلى طرابلس وقد عاد إلى طرابلس في فيفري 1848م بعد أن قام بتهدئة المنطقة ومنذ ذلك الحين عهد إدارة الجبل إلى زعيم محلى وهو (قاسم) خصم غومة، و في 12 ديسمبر 1848م مما عرفت طرابلس واليا جديدا في شخص احمد عزت[4] الذي كان يرافقه شريف باشا حاكم بنغازي الجديد، و في ابريل من عام الثاني 1849 أنزلت بطرابلس 24 قطعة مدفعية، و كانت الرغبة واضحة في تجهيز المدينة بالأسلحة الحربية الملائمة[5].

ويعد احمد عزت من أكثر ولاة في العهد العثماني عدلا و حكمة، عمل خلال فترة ولايته على الاهتمام بالناحيتين العمرانية و الزراعية، فمنح الفلاحين قروضا و خصص للفقراء من الأهالي قسمة معونة سلطانية، وحالما وصلت المعونة السلطانية وزعت على العموم بشكل عادل،[6] أما الأوضاع الصحية في المدينة فقد كانت سيئة، حيث أصيبت البلاد بوباء الكوليرا فمات خلق

---

[1] **محمد راغب باشا:** عين واليا على طرابلس من الأستانة، و قدم إليها في أوائل جمادى الأولى سنة 1269ه_ ابريل 1847م، انظر: الزاوي، المصدر السابق، ص 249.

[2] بروشين، المرجع السابق، ص 285.

[3] محمود عي عاصر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 242.

[4] احمد عزت : عين واليا على طرابلس، وقدم إليها في الخامس من محرم سنة 1265ه_1848م وبقي في الولاية حوالي اربع سنوات ثم عزل، و في أيامه أصيبت البلاد بوباء الكوليرا، انظر: الزاوي، المصدر السابق، ص 250.

[5] روسي، المصدر السابق، ص 435.

[6] محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 243.

كثير، و هرب الكثير من الناس إلى مالطا و تونس.[1] وهذا بينما لم تتخذ السلطات التركية أية إجراءات تجاه هذه الكارثة و هو ما زاد من سخط السكان و لما كان جهاد طرابلس يربطون كل ويلات السكان بالوالي فقد بعثوا برسالة إلى اسطنبول يطالبون فيها بإرسال حاكم جيد و أكدوا على أن يكون من المذهب المالكي الذي يتبعه غالبية السكان في طرابلس و برقة.[2]وهذا ما استقر من عزل احمد عزت باشا و تعيين مصطفى نوري باشا[3] حيث عمد مصطفى فور وصوله الولاية الى ملاحقة مثيري الشغب و الفوضى من سكان المنشية و الساحل ونفاهم خارج الولاية.[4]

ج) نهاية غومة و احتلال طرابلس الغرب:

في بداية سنة 1855م فر غومة من منفاه، و عاد إلى الجبل و أشعل الثورة و لجا الوالي مصطفى نوري إلى إجراءات وقائية، و بنهاية ربيع ذلك العام كان غومة قد وصل إلى نالوت التي حاصرها و أخذت الحملة التي أعدتها الحكومة تزعف على الجبل في 27 جوان 1855م.[5]

كما لقي غومة ترحاب من أهلي طرابلس الغرب، وكان يحيونه تحية البطل محور الجبال، ثم نحته الحماسة التي قُبل بها ثقة في قراره بأعلام الثور الشاملة في البلاد، وسرعان ما استجاب لندائه أهلي جادو والزنتان ويفرن وزحف إليه مؤيدوه من كل صوب وقرعة الطبول في القرى داعية إلى الثورة فقط كان الجبل الغربي يقف وقف واحدة ضد الطغيان التركي .[6]

وفي الوقت نفسه كتب غومة إلى قناصل فرنسا وانجلترا، معلنا أن الثورة ليست موجهة الباب العالي، ولكنها كانت ضد الإدارة السيئة ضد الولاة الذين كانوا منهمكين فقط بجمع الأموال وكانت الحملة التركية التي غادرت طرابلس في شهر جوان تحت قيادة العقيد إسماعيل بيك قد

---

[1] الزاوي، المصدر السابق، ص 250.

[2] بروشين، المرجع السابق، ص286.

[3] **مصطفى نوري**: قدم واليا إلى طرابلس عزة ذي الحجة سنة 1268ه-16 سبتمبر 1852م، انظر: الزاوي، المصدر السابق، ص 251.

[4] محمود علي عامر، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 244.

[5] روسي، مصدر سابق، ص 437 .

[6] برشين، مرجع سابق، ص 288 .

تعرضت لهزيمة نكراء (عند الرومية) بجبل الغربي ، وقد اسر غومة عدد كبير من الأسرى، وحصل على غنائم كبير من المدافع والعتاد، كما انضم إليه عرب الساحل وتحمسوا لقضيتهم .[1]

و يظهر أن الثورة على الولاة في طرابلس أصبح اقرب إلى الناس من إي شيء آخر، لأنهم سئموا ظلم الأتراك و استبدادهم و نقضهم عهودهم مع العرب فلا يستمعون بتأثر حتى ينظموا إليه طلبا للإخلاص من حياة الاضطراب التي صاحبتهم عشرات السنين، و لم يلبث غومة انج نع كل من استولى عليه في قصر يفرن من المهمات الحربية، و أرسلها إلى مصطفى نوري و معها رسالة يدعوه فيها إلى الصلح، فاخذ التركي المهمات، و لم يستحب إلى الصلح فا ستمر غومة في ثورته و استولى غلى جبل نفوسة كله، ثم قدم إلى الزواية وزنزور[2] و انضمت إليه تلك النواحي.[3]

فأدرك باب العالي حجم التهديد المحدق بالولاية فسارع باستدعاء مصطفى نوري باشا ، و في أكتوبر سنة 1855م وصل إلى طرابلس الوالي الجديد عثمان مختار باشا[4] الذي اعد على الفور حملة على المتمردين، و قد تحركت فرقة كانت مقيمة بالزاوية، عند نهاية 1855م واتجهت نحو عزيان ثم إلى الجبل و أعادت احتلال يفرن في 20جانفي 1856م حيث كان النهر حليف الأتراك فالقوات التركية كانت متفوقة في تنظيمها و تسليحها على جيش غومة.[5]

كما صرح عثمان مختار باشا بأنه لا يقوم بأية تنازل صالح العرب المتمردين و بأنه يتوجب على الشيخ غومة أن يقدم إلى طرابلس لإعلان خضوعه و طاعته، و بأنه لا يلحقه فيها إي أذى، و سيهديه بيتا يحيا به حياة طمأنينة، إلا أن السلطات التركيبية لم توافق أبدا على إشراكه في حكم

---

[1] روسي، مصدر سابق، 438 .

[2] وزنزور : قرية ببرقو، تشبه أن تكون أثرية شمال الابئر الأشهر بنحو 20كم، اظلر: الزاوي، معجم البلدان الليبية، مصدر سابق، ص 174.

[3] الزاوي، مصدر سابق، ص 252.

[4] عثمان مختار: عين واليا على طرابلس وقدم إليها في 20 من صفر سنة 1272هـ_نوفمبر 1855م، انظر: الزاوي، مصدر نفسه، ص 254.

[5] روسي، مصدر سابق، ص 439.

منطقة الجبل الغربي.[1] إلا انه عندما هزم في معاركه أعلن انه على استعداد لالتزام الهدوء و الانسحاب إلى تونس، و لكنه عاد إلى النصر في نهاية مارس 1858م وفي هذه المرة كان مصيره قد تقرر، إذا استطاعة قوة من الفرسان الأتراك و بعض القوات الإضافية بقيادة أغا مصراته (احمد الادغم) أن تدرك غومة عند السهول الواقعة جنوبي الجبل وهو في اتجاه غدا مس فأحاطت به[2] وحموا عليه بقوة لم تكن بها طاقة، ودافع عن نفسه في جريمة حق قتل في 1857م وانتهت تلك النفس الكبيرة إلى ما ينتهي إليه كل حي و عاش غومة حياة طويلة، كلها مغامرات سعيا وراء المجد و دفع لقالة السوء و ما يخدش العرض[3]، وهنا استغل عثمان باشا الموقف و طلب من الجمود المتمردين الاستسلام بلا قيد و لا شرط، كما استعان بعرب الدواخل الذين اجتمعوا عند أبواب المدينة واستلم المتمردون و عوقب كثير منهم بعقوبة الجلد وفي نهاية العام اتخذ الإجراءات لاستبدال الجيش حيث كلفته هذه الإجراءات فقدان منصبه وخلفه حاج احمد عزت باشا لمرة الثانية ووصل إلى طرابلس في 12 نوفمبر 1858م وقد وجد الولاية هادئة نسبيا أما المقاطعات الوسطى فان الوضع لم يكن أمنا و الهدوء لم يكن متسببا بسبب الغزوات التي تقوم بها أولاد سليمان المتحالفون مع قبائل سرت بقيادة أبناء عبد الجليل.[4]

وهكذا تولى الولاة الأتراك الحكم في طرابلس حيث انصرف معظم الولاة لمعالجة الثورات التي تولى قيادتها زعامة قبيلة و سعوا لتهدئة المكان الذين تقاصفوا مع الثورات و قادتها وكان ذلك كله باستخدامهم القوة و العنف [5]كما انه يمكن القول انه بنهاية غومة سنة 1858م قديمة للأتراك السيطرة العسكرية الكاملة على المراكز الرئيسية بطرابلس الغرب و بذلك تنتهي الفترة التي اتسمت بالثورات التي قادها الزعماء الكبار حيث سئم الأهالي هذه الحروب المتواصلة وصلوا المتاعب والقلاقل التي تعرضوا لها، ولكنهم لم يستسلموا استسلاما نهائيا.[6]

---

[1] فيرو، مصدر سابق، ص 483.

[2] روسي، المصدر السابق، ص439.

[3] الزاوي، مصدر سابق، ص 255.

[4] روسي، مصدر سابق، ص 440.

[5] محمود علي عاصر، محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 250.

[6] روسي، مصدر سابق، ص 441.

الفصل الثالث :

طرابلس الغرب العثمانية بين التحديات الداخلية والضغوط الخارجية

المبحث الاول : التقارب العثماني السنوسي

المبحث الثاني : الأطماع الايطالية وغزوها لليبيا

المبحث الأول : التقارب العثماني السنوسي

أ) التعريف بالحركة السنوسية و مؤسسها

- تعريف الحركة السنوسية :

تنسب الى مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي ، و هي الحركة اصلاحية ذات طابع اسلامي تركز في بوادي برقة و صحراء ليبيا و الحجاز فطابعها بدوي و مؤسساتها بدوية واقيمت لتكفي حاجات البدو[1] وهي ايضا حركة دينية من النصف الأول من القرن التاسع عشر و كان ما يدعو الى قيامها الوضع الذي الت اليه حالة المسلمين من ضعف و تفكك وبعد عن مفهوم الدين ،فقد سيطرت الحياة المادية ، وطغت عن معظم النواحي ، و سار الناس وراء مصالحهم ، و اهملت العبادات و الفرائض ، كما ساد الوهم و الخرافة ة اعتزل بعض الناس صوامعهم ، و ابتعد المجتمع عن تقويم الحاكم و النصح له ، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر [2] وهي اولى الحركات التي انبعثت من دعوة التوحيد ، وهي في نفس الوقت تشكيل اجتماعي تربوي على نمط الصوفية و دعوات الفتوة و الاجتهاد متحررا من الاخطاء والانحرافات[3]

- التعريف بمؤسس الحركة :

محمد بن علي السنوسي : هو الامام الاعظم و المصلح الأكبر محمد بن علي السنوسي العربي ابن محمد بن عبد القادر بن شهيدة ، بن حم يوسف بن عبد الله بن الخطاب بن علي بن يحي بن راشد بن احمد المرابط بن منداس بن عبد القرى بن يوسف بن زيان ، بن زين العابدين بن يوسف بن حسن ادريس بن عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن

---

1 احمد الصدقي الدجاني ، الحركة السنوسية نشأتها و نموها في القرن التاسع عشر ، ط 1 سنة 1967 ، دار البنيان للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ص .30

2 محمود شاكر، ليبية، ط 1 سنة 1392ه 1972 ، الدار العلمية ، لبنان ص 37 .

3 انور الجندي العالم الاسلامي و الاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي ، (د،ط) دار الكتاب اللبناني سنة 1979 ص 260.

يعقوب بن حمزة بن علي بن عمران ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن حسن المثني ين الامام حسن السبط بن علي بن ابي طالب الهاشمي القرشي ، و بنسبه هذا ينتمي الى سلالة بيت رسول صلى الله عليه و سلم [1]

ولد سنة 1202ه صبيحة يوم الاثنين الموافق الثاني عش من ربيع الاول عند طلوع الفجر ولذالك سماه والده محمدا تيمنا باسم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته بناحية (ميثا) الواقعة خفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر ، و توفي والده بعد عامين من ولادته و تولت عمته فاطمة تربيته و تنشئته صالحة [2] ، و يقول شكيب ارسلان عن اسرته فيقول "ان هذه الاسرة من قبيلة مهاجر ، وان عدد ابناؤه الحي الذي ولد فيه ابن السنوسي يبلغ 70000نسمة "[3]

و نشا محمد السنوسي في البيت اشتهر بالعلم و الدين و الصلاح ، فقد كان ابناء البين السنوسي كلهم منتسبين الى العلم ، حيث كان والده السيد علي يجمع الى العلم و الصلاح والتقوى و يجيد الفروسية و الرمانية الى درجة القوى ، وق توفي و لم يتجاوز عمر ابنه محمد السنتين ، فتولت السيدة فاطمة تربته و تنشئته تنشئه صالحة ، و كانت السيدة فاطمة متبحرة في العلوم منقطعة للتدريس و الوعظ و تجر دروسها و مواعيضها الرجال ، ومن اول الامر اظهر السيد محمد بن علي شغفا بتحصيل العلوم فراح يجمع العلوم فأتقن القران الكريم حفظا، ودرس الفقه والتصوف و الحديث ، ثم اخذ العلم عن مجموعة من العلماء الاجلاء و المشهرين في بلدة مستغانم و مازونة و من بينهم الشيخ محي الدين و الشيخ عبد الحليم ، و السيد عبد القادر بن عمور الشيخ أبي طالب المازوني والشيخ ابوراس المعسكري[4]

---

[1] محمد الطيب الاشهب ، السنوسي الكبير ، (د،ط) مصر مكتبة القاهرة الازهر ، مطبعة محمد عاطف ميدان الخزندار،ص7.

[2] علي محمد الصلابي تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان (د،ت) ط 3 ، 1430ه ، 2009م ص 21.

[3] شكيب ارسلان ، هامش حاضر العالم الاسلامي ، تأليفستود ارد لوثري ، تر ، عجاج نواهضي 1966 ، 2 ، دمشق ص 140.

[4] محمد فؤاد شطري السنوسية دين و دولة ، دار الفكر العربي 1948 ، ص 11.

وبعد ذلك رحل الى مدينة تلمسان واقام بها مايقارب من السنة و تتلمذ على الكبار شيوخها ، وكلن الشيخ محمد بن علي السنوسي في صغره يميل الى الانزواء و الانفراد و يمضي وقتا طويلا في التفكير ن و يتأمل في حال الامة و ما وصلت اليه من ضعف و الهوان و الضياع .... وكان يبحث عن عوامل النهوض ، و اسباب توحيد صفوف الامة ، حيث انه حدث ذات مرة ان وجده بعض العلماء جالسا فوق كتيب من الرمال و تظهر على وجهه علامات التفكير العميق فلما سألوه عن السبب في ذلك فرد على ذلك قائلا : " انه يفكر في حال العالم الاسلامي الذي لا يعد وعن كونه قطيعا من الغنم لا راعي له على الرغم من وجود سلاطينه و امرائه و مشايخ طرقه و علمائه قمع ان هناك عددا كبيرا من المرشدين وعلماء الدين الموجودين في كل مكان ، فان العالم الاسلامي ليزال مفتقرا اشد الافتقار الى مرشد حقيقي يكوم هدفه سوق العالم الاسلامي اجمع الى غاية واحدة و نحو غرض واحد ، و السبب في هذا الانعدام الغيرة الدينية لدى العلماء و الشيوخ و انحرافهم الى الخلافات القائمة بينهم قد فرقتهم شيعا و جماعات فاصبحوا لا يعنون بنشر العلم و المعرفة و لا يعلمونبأوامر الدين الحنيف وهو دين توحيد اساسه الاتحاد و جمع الكلمة ، تم ختم كلامه بقوله : "هذا ما افكر فيه فلما سألوه وماذا يجب على المسلمين عمله لتلا في ما ذكرت ، أجاب : سأجتهد سأجتهد.[1]

وعلي وقع هذه العبارات نجد ان محمد بن علي السنوسي كان تفكيره في حال الامة مبكرا واجتهد في البحث عن العلل و الاسباب التي ادت الى التدهور و الضعف المخيف في كيان الامة واهتم بالبحث عن عوامل النهوض فرأى ان بدايتها في الايمان العميق . [2]

- رحلات ابن السنوسي و تأسيسه للحركة السنوسية :

قعد محمد السنوسي فأسس في المغرب الاقصى ، و مكث بها سبع سنوات تقريبا (1822_1829م)، فاخذ العلم بالزاوية عن أفضل علمائها مثل سيدي الشيخ حمودة بن الحاج و سيدي حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج ، وسيدي الطيب الكيراني ، محمد بن عامر

1 علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ص ص 22 ، 23.

2 علي محمد ، الحركة السنوسية في ليبيا ، الامام محمد بن علي السنوسي و منهجه في التأسيس ، الجزء الاول ، دار البيارق للطباعة و النشر و التوزيع ، الاردن ، لبنان ، ط 1 ، 142ه _1999م ص27.

المعراني و أبي بكر الادريسي ، و ادريس بن زيان العرافي ، و محمد بن منصور ، و الشيخ محمد بن عمر الزروالي ، و سيدي العربي بن احمد الدرقاوي و غيرهم .[1]

و تبحر ابن السنوسي في معرفة الطرق الصوفية الى جانب التفقه في علوم الدين ، وتحصل على اجازات من علماء راسخين و اصبح مدرسا بالجامع الكبير بمدينة فاس و نال المشيخة الكبرى بها و اقبل الناس عليه من صلاحه و تقواه و فهمه الدقيق لعلوم الشريعة ، وروحه الفياضة ، و عقله المتنور و فكره الناضج وهذا ما ساعده في حياته المستقبلية وكان نشاط الدعوي التدريسي فرصة مكنته من الاحتكاك بالسلطة لأول مرةو هذا اخشى حكومة السلطان سليمانمن نفوذه و بدأت عراقيل ووجد انه لا فائدة ترجي من بقائه بفاس و قرر الارتحال بعد ان اخذ عن علمائها قدرا كافيا من العلوم [2]

و بعد ان عزم ابن السنوسي على مغادرة فاس عقد الرجال نحو الجنوب الجزائري في عهد الأغوات و فضل الإقامة بها مدة لأهمية موقعها حيث كانت ، معتبرة من مفاتيح الصحراء و تجمع بها قوافل الاتية من الودان ، فمكثا بها بعض الوقت يلقي دروسا في الفقه و الشريعة ، ومنها إلى مسعد ثم إلى جلفة ثم الى بوسعادة وهو في اثناء رحلته يطلع و يدرس و يقوم بالتدريس [3] ويقال ان ابن السنوسي كان في الجزائر عند احتلال الفرنسي لها و انه قصد مستغانم و فيها قام بإتمام اول زواج له من احدى بنات عمومته التي انجب مهنا طفلا ، وعندما قرر الارتحال إلى مكة عرض على زوجته أن ترافقه فلم ترغب في ذلك فرأى ان يحررها لأنه لا يعرف مدى غيابه اما الطفل فتوفي و هو صغير ، وقبل مغادرته للمنطقة تخاصم مع اقاربه الذين استولوا على املاكه .

كما امضى ابن السنوسي جزءا من سنواته عند اولاد نايل بجهة قسنطينة حيث قام ببناء زاوية ومارس الوعظ و التعليم .

1 محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ص ص 13 ، 14.

2 علي محمد الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، المرجع السابق ص 24.

3 محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ص 15.

ولما قرر ابن السنوسي مغادرة البلد ، فكر الارتحال الى مكة المكرمة لشوقه كثيرا الى بيت الله الحرام و لحلمه بالعيش في تلك الديار و قضاء فريضة الحج ، كما رأى فيها فرصة للقاء كبار علماء العالم الإسلامي و اخذ بنصيحة احد مشايخه اذ قال له "ان الارتحال المستمر صعب فاذا اردت ان تستزيد من العلم فما عليك الا بالسفر الى مكة حيث يلتقي جميع علماء المسلمين"[1]

وهكذا واصل ابن السنوسي سيره مارا بتونس فطرابلس ، و ببنغازي و الجبل الاخضر والصحراء الغربية حتى بلغ القاهرة ، و قضى جل هذه المرحلة من حياته التي بدأت بمغادرته فأسس سنة 1819م انتهت بوصوله القاهرة حوالي 1823م [2]

عندما غادر ابن السنوسي الجزائر ودخل تونس و قابس و جامع الزيتونة و استفاد من شيوخها و استفاد الطلاب منه، ثم واصل سيره و دخل طرابلس الغرب ، و مكث فيها مدة لوعظ والارشاد و دعوة و استطاع ان يكسب لدعوته انصارا من مصراته و زلطين و طرابلس .

كما دخل ابن السنوسي مصر وكان الحكم آنذاك لمحمد على باشا ، و كان ذلك في عام 1824م حيث كانت فرصة لابن السنوسي ليتعرف على تجربة محمد باشا عن قرب ، وقد لاحظ ابن السنوسي عدة امور جعلته لا يرتاح الى سياسة محمد على باشا التي كانت تخدم اعداء الاسلام .[3]

وواصل ابن السنوسي سيره حتى وصل إلى مكة المكرمة سنة 1825م وقد كانت مكة في هذه الفترة خاضعة لحكم محمد على باشا حاكم مصر الذي قضى على الوهابيين ، وقد اقبل ابن السنوسي الى التعرف و الاحتكاك بعلمائها و الأخذ منهم خاصة أن مكة كانت تضم عددا من العلماء و طوائف المختلفة بمذاهب و اتجاهات مختلفة ، ففيهم الصوفي و فيهم المالكي ، والسلفي الوهابي مما اتاح السنوسي فرصة الاصلاح عليها ومن بين أهم العلماء الذين تعرفوا واخذ

1 احمد حدقي الدجاني ، المرجع السابق ص ص 58 ، 59.

2 احمد حدقي الدجاني ، المرجع السابق نفسه ، ص59.

3 علي محمد الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، المرجع السابق ، ص 31.

4 احمد بن ادريس : ولد سنة 1173ه ، بميسور و استشهد بالعلم و الصلاح و بالتعميق في الدراسة الفقهية و في الطرق الصوفية و توفي في صبياه سنة 1254 ، انظر : احمد صدقي الدجاني ، ص 67.

عليهم: قاضي و مفتي مكة ابو سليمان عبد الحفيظ العجمي ، ابو حفهي عمر بن عبد الرسول العطار ، واحمد بن محمد الدجاني ، واحمد بن إدريس الذي لعب دور كبير في حياة ابن السنوسي[1]

حيث لازمة السنوسي ودرس على يديه الحديث و السنة ، توثقت بينهما علاقة قوية و ذكر ان ابن ادريس كان يحب ابن السنوسي و يثني عيله اطيب الثناء ، كما استعان به في الارتفاع والعلو ولما حصل ابن السنوسي من العلم ما يكفيه بدا يفكر في ضرورة الدورة للإصلاح ونشر أفكاره في مكة ، لبث ابن السنوسي طويلا حتى بنا أول زاوية له في الحجاز على جبل ابي قبيس بمكة المكرمة ، سنة 1837م و كان بناؤها إيذانا بتأسيس الحركة السنوسية ، و تنفيذ وصية شيخه ابن ادريس الذي امره بدعوة الناس الى طريق الحق .

و بدا ابن السنوسي بألقاء الدروس في مكة من خلال زاوية و تعليم من يجتمع حوله من المريدين و طلاب العلم ، و خلال تواجده بمكة تزوج زوجة ثانية بإيجاز من شيخه ابن ادريس و كانت تسمى السيدة خديجة الحبشية و تتصف بالتقوى و الصلاح ، و قد قامت بدورها نحو زوجها و رافقته في رحلاته ، ورضيت بأسلوب حياته الصعب الذي يتصف بالانتقال المستمر و العمل الشاق ، و توفيت فيما بعد بالجابون بعد وفاة زوجها بحوالي عشرين سنة عام 1879م [2]

و عندما لاقي ابن ادريس مضايقة من العلماء و عنفه من السلطات الحكومية قرر مغادرة مكة في النهاية الى (صبيا) العسير ، وقد رافقه ابن السنوسي وقام معه حتى وفاته سنة 1823م.[3]

1 احمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق نفسه ص ص 66 ، 67.

2 احمد حدقي الدجاني ، المرجع السابق ص ص 69،72.

3 محمد فؤاد شكري، المرجع السابق ، ص 27.

ثم ان سرعة الاستقطاب التي تميزت بها الحركة ولد لها حسد وحقد من طرف شيوخ و علماء مكة الموالين للسلطة العثمانية ، الذين تضايقوا من مخالفة لهم و يقول الاستاذ محمد فؤاد شكري عن ذلك :"و كان ما اخف السلطات الحكومية ان السيد ظل يتصلبأبناء استاذه السيد ابن ادريس الفاسي في صيبا وهي ارض وهابية ، وكان العداء مستحكما بين الحكومة العثمانية والاشراف بمكة و بين الوهابيين".[1]

ولقد خرج الامام السنوسي من الحجاز بعد ان اكتملت شخصية الدعوية و الاصلاحية كتجاهه نحو المغرب و ذلك لدعوة مريدية من أهالي المغرب لزيارة بلادهم ، ورغبة ابن السنوسي للجهاد في بلاده ضد الفرنسين ثم سافر الى مصر من مكة ومعه عدد كبير من الاخوات و دخلها عام 1840م ، حيث حطي باستقبال كبير من طرف علماء الازهر ، كما انه زاد جامع الازهر و القي دروسا به ، و قد قام احد مشايخه مصر و خطب في علمائه قائلا :"انصتوا ايها العلماء لقد حل بين اظهركم عالم الامة المحمدية و نبراس الشريعة المطهرة و شمس سماء المعارف الالهية وهو الشيخ الكامل محمد بن علي السنوسي ".[2]

وبعد ذلكغادر الامام السنوسي مصر قاصدا ليبيا و لم ينكث بها مدة طويلا.

ثم واصل سيره الى قابس في تونس وكانت اخباره قد وصلت الى فرنسا فبثت عيونها على طول الحدود ليبيا و تونس و الجزائر وكان هذ قد اعاق سه ، حيث كلفه العلامة السيد محمد بن الصادق اخد تلاميذه و حمله بعض الاموال و الاسلحة لتوصيلها خفية الى الجزائر .[3]

وعاد الى طرابلس و تبنى ابن السنوسي دعم حركة الجهاد في الجزائر بالأموال و الاسلحة والرجال لما استطاع الى ذلك سبيلا ، من خلال دعمه للثوار كمقاومة محمد بن عبد الله بصحراء و تلمسان سنة (1848-1861م) و مقاومة محمد بن تكوك في الظهرة 1881م [4]

1 محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص22.

2 محمد علي الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، المرجع السابق ص39.

3 محمد الطيب الاشهب ، المرجع السابق ، ص103.

4 علي محمد الصلابي ، التمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، الجزء الاول، القاهرة ، دار التوزيع و النشر ، ط1 1422ه/2001م، ص 48 .

، و عليه فان ابن السنوسي ساهم مساهمة قوية في الجهاد ضد العدو الفرنسي ،وما يؤكد ذلك الخطاب الذي ارسله احد تلاميذه ابن السنوسي من الجزائر مدير غدا مس التركي ، و تبين من خلال ذلك الخطاب ان الدعوة السنوسية قد بلغت الجزائر و ان عددا من اتباعه كانوا يقاتلون الفرنسيين و قد ارسل هذا الخطاب سنة 1851م و كان ابن السنوسي حينها بالحجاز و من بين ما جاء فيه :"..... واما انا عبد الله حين قدمت بلاد ورقلة ففتح الله علينا بها و صارت محمدية بعد ما كانت في يد الرومي دمره الله و خليفه الرومي فيها ، سبحان من حكم الضعيف في القوي وصار القوى من عبده مخذولا مذموما و لكن من بركة الشريف شيخنا سيدي بن محمد بن علي السنوسي و نفعا و اياكم به امين و صار عربان وارقلة و قهورا ز قبائل الشغامية و قصور تغورت و عربانها و الارباع و الخزرلية و الحجاج و الكثير من عربان الظهيرة وقصور بني مصاب كلهم تحت طاعة الله هذه الساعة ثلاثة محل .... تلاقينا معهم و صرنا مثل الشامة البيضاء في الثور اسود فنصرنا الله نصرا عزيزا و اعلننا على اعدائه ، ووقع القتال بيننا بالبارود و السيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة و قتلنا منهم نحو ثلاثمائة و ستة و تمانون رجلا و قلعنا من الخير كثير و البنادق بلا عدد و الخزنة و الابل و الاجنبية و الحمد لله على ذلك ....."[1]

عاد ابن السنوسي الى طرابلس ومنها الى برقة زلزل فيها عند عائلته المنتصر حيث استقبله بترحاب حار، تأسس زاوية البيضاء و هي اول زاوية بمؤسسها السنوسي خارج الحجاز و اطلق عليها ام الزوايا تقع في اعلى الجبل الاخضر، و اتخذها مركزا لدعوته وكان يرمي الى جعلها رباطا لصد هجومات الاعداء عليها.

و في مدة بقائه في البيضاء اقدم على اتمام زواجه الثالث، من احدى بنات السيد احمد بن فوج الله، تدعى فاطمة و تم الزواج سنة 1843م و في سنة 1844م انجبت زوجته فاطمة مولودها الاول بالزاوية البيضاء و سمي باسم محمد المهدي و بعد سنتين وضعت طفلها الثاني فاسماه محمد الشريف و ذلك سنة 1846م و لم يل ثان ترك الجبل الاخضر و شرق الحجار .[2]

1 علي محمد الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، المرجع السابق ، ص ص 41، 42.

2 احمد حدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 80، 84.

و ذللك بعد ان اثبت ابن السنوسي دعوته ببرقة و اطمئن على حسن سيرها، و ذلك لتوفر برقة غلى ظروف ملائمة لظهور الحركة السنوسية بوصفها حركة اسلامية شاملة منها :

-ان برقة منفصلة عن الاقطار المجاورة بالصحاري و القيافي التي تحيط بها

-تتالف برقة من قبائل عربية بدوية تربطها انماط حياة اجتماعية متجانسة

-يقوم النظام القبلي في برقة على ديمومة مشتركة و تقاليد و اعراف متشابهة

-لا تزال المناطق الريفية بعيدة عن سيطرة المدن

- لم يمارس الحكام العثمانيون الا سيطرة ضعيفة على المناطق الداخلية [1]

وقد خرج السيد ابن السنوسي من برقة قاصدا الحجاز في عام 1846م فأقام بها ثمان سنوات و لما قارب ابنه محمد المهدي الدخول في سن السابعة من عمره ارسل الى اهالي برقة يطلب منهم ان يرسلوه اليه[2]مع زوج خالته فارتحل به، و لما اجتمع ابن السنوسي بولده سر به سرورا عظيما و طلب لوح قراته فوجد قوله"وانك لعلى خلق عظيم" {القلم:4} فازداد سرورا، وزوره الروضة الشريفة و لقنه ما عنده من الدعاء ثم زوره المأثر كلها التي في المدينة، كمسجد المائدة و القبلتين و قبر حمزة رضي الله عنه.

وقد تزوج ابن السنوسي زوجته الرابعة و الأخيرة، ابنة حسن البسكري السيدة بدرنة البسكرية فرحل بها إلى الحجاز و تزوجها ورزقت منه بولد توفي صغيرا و عندما بلغ محمد المهدي التاسعة غادر والده المدينة الى مكة و تركه مع زوجة أبيه، البسكرية فاعتنت به كثيرا، وفي جمادى من سنة 1852م ، طلب ابن السنوسي ابنه محمد المهدي من المدينة و ارسل يطلب من الاخوان في برقة بأرسال ابنه محمد الشريف اليه فحملوه اليه [3]

1 علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، المرجع السابق، ص ص 58 ، 59.

2 محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 32.

3 علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص ص 56، 57.

حيث ارتحل محمد الشريف من الجبل وهو ابن سبع سنين و معه والدته السيد احمد بن فرج الله و نزلوا بمصر ببيت الشيخ عمار الزوالي اقاموا بها اياما ثم ارتحلوا الى المدينة المنورة و اجتمع بالباشا الذي بها وكان بالمدينة السيد عبد الله التواتي و أكرمهم غاية الاكرام و اقاموا بها ثلاثة اشهر و نصف ثم ارتحلوا منها الى مكة و في طريقهم الى مكة قتل التواتي الذي كان من اوائل رقاق ابن السنوسي، حيث حزن ابن السنوسي كثيرا لمقتله .[1]

وعندما انتشر خبر وفاته بين قبائل الحجاز فاصبحوا يتحاشون السنوسية و اتباعهم و ا يمسونهم بسوء ابدا، حتى ا ناهل مكة و المدينة كانوا اذا ارادوا الحج او الزيارة فلا يخرجون الا مع الركب السنوسي لكي يأمنوا حياتهم و امتعتهم.[2]

و لم تكن شهرة ابن السنوسي في الحجاز باقل منها في برقة فكان الكثير من الوافدين على مكة يرغبون برؤيته و التبرك به، وقد استطاع بمواهبه و اخلاصه ان يضئ في كل مكان حرفية، وأن يوجه المعتقدين ببركته توجيها طيبا .

كما خرج ابن السنوسي من مكة خائفا من تهمة مشاركته مع الشريف عبد المطلب شريف مكة الذي عصى الدولة، لذلك خاف السنوسي من الاقامة في مكة بعد هذه التهمة، فرحل منها عائدا الى الجبل الاخضر عن طريق مصر، الا ان خروجه هذه المرة من الحجاز كان خروجا طبيعيا يوافق مخطط ابن السنوسي في نشر الدعوة.[3]

وواصل سيره الى الجبل الاخضر، ونزل بمحل يعرف بالغزيات وهو قصر قديم فرمه و اصلحه وسماه بالعزيات و اقم هناك سنتين ، و كان في تلك الفترة يشرف بنفسه على تنظيم و انشاء الزوايا، وكان يرسل من و بين عنه لتفقد احوالها، و كان كبار الاخوان يقدمون على العزيات

1 احمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 93، 94

2 علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا، المرجع السابق، ص ص 57، 59 .

3 احمد صدقي الدجان، المرجع السابق، ص 95، 96.

لزيارة ابن السنوسي، و بعد ان اقام السنوسي عامين من العزيات عزم على التحول إلى الجغبون و كان قصده التوغل في الصحراء حتى يكون اكثر امنا[1]

- اسباب اختيار الجغبون مقر لقيادة الحركة السنوسية:

يعود سبب اختيار ابن السنوسي للجغبون[2] كمقر لقيادة الحركة السنوسية دليل على بعد نظره، و رجاحة عقله، و حسن تعرفه و قد ذكر المؤرخون اسباب ذلك الاختيار فقالوا :

-أراد إن يجعل من الجغبون مركزا للتوفيق بين قبائل الصحراء المختلفة و نشر راية دعوة الاسلام بينهم جميعا.

-الاهتمام بأبواب الصحراء المترامية الاطراف، بحيث كانت زاوية الجغبون نقطة مهمة و اعقبتها زوايا تخدم نفس الهدف، من اجل ضمان السلامة و الامن في الصحراء .

-كان البدو في ليبيا يظهرون الى ترك دواخل ليبيا بسبب خلاف يقع بين قبيلة و اخرى او مع الدولة العثمانية، فتمون وجهة النازحين نحو الصحراء، و ذلك كر ابن السنوسي في ان وجد هذه الزوايا في المواقع البعيدة لي يأوي اليه النازحون عن دواخل البلاد، فيجدوا امنا و امانا.

-كان ابن السنوسي قد شعر بدنو استيلاء النصارى الصلبيين على السواحل فاختار الابتعاد الى الجنوب و الاقامة في الصحراء[3]

و انتقل ابن السنوسي من السنوسي من العزيات في اخر يوم من محرم، ومر في طريقه على بطنان و نزل بالجغبون في شهر صفر، عندما حل السنوسي بما صار يشرف بنفسه على سير العمل، حيث اقيم فيها عدد من المباني الحجرية، ففي وسطها كان المسجد و المدرسة و مسكن ابن السنوسي و يحيط بهذه الاجنبية ساكن الاخوان و الطلاب و العمال، و عرف للضيوف، و

1 علي محمد الصلابي، التمار الزكية بحركة السنوسية في ليبيا، المرجع السابق ص ص 69، 70.

2 الجغبون: زاوية تقع على بعد مائتين وتسع وثلاثون كلم مربع من باردية، تحيطها مستنقعات ماؤها شديد المرارة، توجد بها بعض أنواع الشوك تحيط بها من جهاتها الأربعة سلسلة من الكثبان الرملية وبعض الصخور الحجرية، أنظر: محمد الطيب الأشهب ، مرجع سابق ، ص 45.

3 علي محمد الصلابي تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا، المرجع السابق، ص60.

مساكن للأرقاء و مطابع و أبار حيث تحولت الجغبون بعد انتقال ابن السنوسي اليها من واحة مالحة يأوي اليها الدعار و اللصوص، الى مهد امان و مركز عبادة و مشرق انوارن فغرس فيها الأشجار و نسق الجنان و استنبط العيون و توسع في البناء واسس مدرسة لتخريج مريدي الطريقة اجلس للتدريس فيها جلة العلماء.

مما جعل الجغبون تصبح مركزا عالميا بفضل مسجدها و مدرستها و مكتبتها التي اسسها السنوسي بها .[1]

و بعد ان استقر ابن السنوسي الجغبون التف إلى نشر دعوته في افريقيا الوسطى، فقد فكر الأقوام الإفريقية التنية، كما عمل على الاستفادة من القبائل البدوية العربية التي تعيش في برقة طرابلس و تتعامل في التجارة مع وثنيي افريقيا لنشر دعوته هناك، و لم يقتصر توسع الدعوة عي اجعبون بل شمل أبضا ليبيا، و الحجاز ففي ليبيا تم انشاء عدد من الزوايا في مصراته و ارفلة و حرابة و مزرق و كان يشرف على كل زاوية وحد من أفاضل الاخوانن و قد كان ابن السنوسي على صلة مستمرة بوكلاء هذه الزوايا .[2]

و اختار ابن السنوسي من كبار علماء الحركة للتفرغ للتدريس في معهد الجغفون، حيث تدرس جميع انواع العلوم، فلا يتحصر التعليم على حفظ القرآن فقط بل أن التعليم في الجغبون قطع شوطا بعيدا، فتناول اهم العلوم العقلية و النفسية، و من بين العلماء الذين قاموا بإلقاء دروس في المعهد تحت اشراف ابن السنوسي منهم: عمران بن بركة الفتيوري، احمد عبد القادر الريفي، عبد الرحيم احمد المحبوب، محمد ابن احمد الشفيع، محمد حسن البكري.

ولقد قام عدد كبير بنصرة و تأكيد الحركة السنوسية من العلماء و الفقهاء و القادة و الشيوخ من اشهر هؤلاء الاخوان الذين ساندوا و وقفوا مع ابن السنوسي في حركته الواسعة منهم:

1 احمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 113، 115.

2 المرجع نقسه ص ص 117، 119.

محمد عبد الله التواتي، احمد ابو قاسم التواتي من الجزائر ، على بن عبد المولى من تونس، احمد المقرحي عبد الله بن محمد السني و غيرهم من الذين ساندوه.[1]

حيث وضع ابن السنوسي منهجا سار عليه هو و علماء حركته من اجل توحيد المسلمين على كتاب الله و سنة الرسول و تمثلت معالم هذا المنهج في عدة نقاط أهمها:

وحدة العقيدة: حيث ادرك ابن السنوسي ان وحدة الازمة المسلمة تتحقق بوحدة العقيدة ورأى ان سلامة الاعتقاد وصحته هي الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتالف، و لا سبيل إلى اجتماع الأمة الإسلامية قاطبة ، ووجدت صفها و عزها، الا بالعودة الصحيحة الى الاسلام العافي النقي ، الخالص من الشرك و البدع و الاهواء و التعصب و اتباع العوائد الفاسدة[2] قال تعالى: {و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساء مصيرا} "سورة النساء، الآية 115" [3]

و الشعوب الاسلامية عليها، كما حرصت على تحكيم كتاب الله و سنة رسوله على نفسها .

-تحكيم الكتاب و السنة : وايقنابن السنوسي هو و اخوانه العلماء ان المسلمين لا يكون لهم شان، ة لا فلاح في الدنيا و لا نجاة في الاخرة، الا بتحكيم كتاب الله و سنة رسوله.

-صدق الانتماء الى الاسلام:رأى انه من اسباب جمع صفوف الامة و تحقيق الوحدة هو الالتزام بالإسلام عقيدة و شريعة و منهج حياة، و بهذا المناهج سيشكل المسلمون امة واحدة في مقابلة التجمعات البشرية يقصي بها العالم .

ولقد كان الانتماء الى الاسلام في التربية السنوسية فوق الانتماء للأوطان و الاقوام، و النعرات الجاهلية .

1 علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في افريقيا، المرجع السابق، ص68 ، 65.
2 علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، المرجع السابق، ص84.
3 سورة النساء الآية 115.

-طلب الحق و التحري في ذلك: وهذا الاصل من شانه ان يقوي وحده صف العالمين لتحكيم شرع الله، وان الله تعالى في كتابه الكريم، يبين انه لا توجد مترلة ثالثة بين الحق و الباطل [1] فقال سبحانه و تعالى:{فماذا بعد الحق الا الظلال} [2]"سورة ياسين اية 32"

-تحقيقالاخوة بين الافراد المجتمع: ايقن ابن السنوسي بأن تحقيق الاخوة بين القبائل، و اتباع الحركة، تحقق وحدة الصف و تورثهمشعورا عميقا، و محبة و ودا و احتراما فيما بينهم .[3]

- وفاة ابن السنوسي:

شعر ابن السنوسي في سنة الاخيرة من حياته بقرب اجله فاهتم باستقدام والديه، ففي سنة 1856م ارسل السنوسي احد اتباعه وهو السيد عبد الرحيم الى الحجاز للايتان بابنه محمد النهدي، و بعد ذلك بسنتين استقدم ابنه محمد الشريف، و لما اشتد المرض عليه و احس بدنو اجله، مهد الأمور لتولي ابنه.

مهدي زعامة الحركة السنوسية، وقد قال لبعض العرب مرة "مرادنا السفر و الذي نخلفه لكم هل تسمعون هل تسمعون كلامه ام لا فقال له: يا سيدي اذا كان من اولادك الناس كلهم تتبع واذا كان من اولاد الغير ففينا من يتبع و فينا من يخالف .

قال رضي الله عنه: هذا المحل لا يزال عامرا بأبنائه الصلب و الصدر الى يوم القيامة" [4] و اشتد عليه المرض في شهر شعبان 1858م حتى صار يغيب عن احساسه و كان يقول: "اهل الله حملونا شيئا كثيرا لو نزل على الجبال الراسيات لما اطاقته" ثم ارتفع بعد ذلك المرض منتصف عمره عام ستة و سبعين ثم تزايد عليه الألم وصار يغيب أحيانا إلى أن دعاه مولاه يوم الاربعاء للعلم و الصلاح و العبادة و العمل.[5]

---

1 علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 90، 94.

2 سورة ياسين ،الآية 32.

3 علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 95.

4 احمد حدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 122، 123.

5 علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا، المرجع السابق، ص 150.

ب) علاقة الحركة السنوسية بالدولة العثمانية:

حرص ابن السنوسي ان تكون علاقته بدولة العثمانية طيبة وان لا تتجاوز هذه العلاقة حدود الرسميات، و استطاع ان يوفقه الى حد كبير بين سياسته الانعزالية و بين ارضاء الدولة، فبالرغم من ان ابن السنوسي كانت له نظرة خاصة في شريعة الخلافة العثمانية الا انه حرص على عدم الاصطدام بها و اقام علاقة طيبة مه ولادها المتتابعين على طرابلس و بادلته الدولة هذا الموقف الحسن فأعفت زوايا السنوسية من ضرائب ، كما سارت الامور بين الحركة السنوسية والدولة العليا سيرا طيبا في عهد ابن السنوسي .[1]

وكان الأتراك من جهتهم يفعلون إقامة علاقات طيبة مع السنوسي على ان يخوضوا معهم حربا، وفي سنة 1856 أصدر السلطان عبد المجيد الأول فرمان يعترف فيه بالحركة السنوسية، وبعد وفاة عبد المجيد اكد عبد العزيز الفرمان السابق دخول الزوايا الحق في ان تمنح الملاذ لكل من يحتاج، كما انخرط عدد من أعيان اسطنبول في الحركة السنوسية [2]

كما ابتعدت الحركة السنوسية عن الانخراط المباشر في العمل السياسي لسلطة موازية لسلطة الدولة العثمانية، بل حرص ابن السنوسي على الابتعاد عن نفوذ السلطة، و فضل التوغل بزواياه في الصحراء، وقد انتهج السنوسيين نهجا سليما في توصيل دعوتهم، ولم يهاجموا الخلافة العثمانية و نضروا اليها بانها تمحي مصالح المسلمين[3]

وكان الولاة يتعاملون مع ابن السنوسي بأحسن معاملة، حيث استقبل الوالي اشقر علي باشا عندما نزل عند عائلته المنتصر في طرابلس بعد ان اطمان اليه عند قدومه الى ليبيا و عزمه الاستقرار بها، ولم يغير الولاة الذين جاؤوا من بعد استقر من هذا الموقف وكان معظمهم

1 احمد حدقي الدجاني، المرجع السابق، ص203.

2 بروشين ، المرجع السابق، ص 349.

3 عطية فتحي لويشي، العثمانيون بطرابلس الغرب، جدليه العلاقة بين المجتمع و الدولة(985ه_1330ه/1551م/1912م) المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد 140، السنة 35، خريف 2017، ص141.

يحترمون السنوسي، كما كان الاتصال بين الخليفة و الشيخ السنوسية يتم بين ان و آخر بواسطة رسل يأتون الجغبون أو الكفرة من اسطنبول و يزوروها نيابة عن الشيخ [1]

و هناك رسالة للشيخ السنوسي بعث بها الى محمد صالح باشا حاكم بنغازي يعهد فيها له برغاية الزوايا و حمايتها و اصدار الاوامر باحترامها وهذا قبل سفر السنوسي الى الحجاز وجاء فيها: (...فلما حان سفرنا وجبه علينا ان نرد الاشياء الى محلها و الامانات لأهلها، وذلك ان هذه الزاوية التي حدثت مهمة حضرتهم ومنه جانب والدكم...و كل من الزوايا حوله عربان وعلى جنابكم محيط بأحوالهم وتعد بعضهم على بعع فضلا عن غيرهم .... و قد سبق من جنابكم وجناب الاكرم الوالد جمي حرمها و صيانة حرمها... واذا تأكد و شاع عن سفرنا ماهوا الواقع من انتسابها لجنابكم و على الجميع بذلك بعزيز خطابكم لا يستاح لها حض و لا تحضر لها ذمة و تصبر حرما امنا...)[2]

و هذه الرسالة وجهها ابن السنوسي الى الحاكم اقليم فزان بعد البسملة ولدنا مصطفى باشا مقام فزان حالا ، ادام الله بقائه وزاده عز و اجلالا .

وبعد اهداء تحيات عطرة تليق بعزيز الجانب، ورفع اكف الضراعة مستمرا و اكف الانعام وسوابغ الا لا عمدي الدهور و الاحقاب و انه قد وصل مشرفكم الكريم.

وحمدنا لله تعالى على ما انتم عليه من الفضل الجسيم، و اسفر عن مكارمهم الفائقة ... الى ان نقول.... و ها نحن داعون لكم بصالح الدعوات في الخلوات و الجلوات و أوقات الإجابات وعلى الله القبول وهو المرجو منه و سلام السلام يخصكم و يعم سائر الذين بجانبكم.[3]

و لم يصطدم السنوسي الكبير بالدولة العثمانية، لان همه كان ينحصر في اصلاح

عقيدة المسلمين، و رفع الجهل و الخرقات و ازالة الخلافات بين المسلمين، وقد اوضح الغرض الديني نفسه للزاوية للمشير محمد امين باشا والي طرابلس العرب العثماني فقال: "ام نحن فقد

1 نقولا زياد، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال، المطبعة الكمالية ،ص 77.
2 الاشهب، المرجع السابق، ص 143.
3 الاشهب، المرجع السابق، ص 141.

الفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك ان تكون العمارة مستمرة و نفوس سكانها مستقرة، ليحصل المقصود منها و يدوم تعلم العلم و تعليمه و اقراء القرآن و تعليمه ، و اقامة شعائر الدين للوافدين عليها و المقيمين بها"[1]

ومن خلال هذه الرسالة نستنتج ان ابن السنوسي استطاع ان يقيم علاقات متينة مع الولاة العثمانيين، و يبدوا ان الحكومة العثمانية قررت ان تكسب ابن السنوسي لصفها و ذلك سبب ما قدمه للقبائل من ارشاد و تعليم و اخا بينهم، فكانت القبائل تقبل النصائح من ابن السنوسي و الارشاد و عالج تمرد القبائل عن الدولة، فكانت القبائل تقبل نصائح من ابن السنوسي ويطيعون الدولة العثمانية بناءا على توجهاته، و لذلك تركت الدولة العثمانية الدواخل في يد الحركة السنوسية، حيث قام ابن السنوسي بإرسال مندوبا عن الحركة السنوسية الى اسطنبول وقام بهذه المهمة الشيخ عبد الرحيم محبوب شيخ زاوية بنغاري، حيث قابل السلطان عبد المجيد و حصل منه على فرمان عام 1856م يعض فيه أملاك الزوايا من الضرائب و يمسح لها بحي نقود من اتباعها [2]

و مما سبق ذكره نستنتج ان العلاقة بين السنوسي و الدولة العثمانية كانت طيبة وحسنة طوال اقامته الاولى ببرقة، ة استطاع بفضل ذلك ان يحقق اهدافه و ان يوسع نفوذ دعوته، معاضدة الدولة العثمانية له سواء عن طريق بشوائها في ليبيا او السلاطين العثمانيين في اسطنبول وقد نظر السنوسي الى الخلافة على انها واقع موجود لا يمكن تغييره، بل من الصواب العمل على الحفظ عليه و عدم الاصطدام به، كما انا الحكام العثمانيين اقتنعوا بان السنوسي لم يكن ينظر في الخلافة، بل كان هدفه اصلاح المجتمع ة اختار التعليم و ارشاد طريقا لذلك[3]

1 عصية فتحي، الوشي، المرجع السابق، ص 142.

2 نقولا زياد، المرجع السابق، ص 83.

3 احمد حدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 163_164.

ج) الحرب السنوسية الفرنسية:

استنبط الحركة السنوسية إستراتيجيتها لمقاومة الفرنسيين من استراتيجية المسلمين الاوائل في عصر الراشدين في الفتوحات و نشر الدعوة الاسلامية و التي قامت على اساس عنصر "القبلية" بوصفها وحدة قتالية في تلك الفتوحات إلا أن السنوسيين زادوا عليها عنصرا جديد هو "الزاوية" بوصفها وحدة قيادية و ادارية و تمونيه، و قد استخدم السنوسيون أساليب قتالية متعددة. فعندما احتلت فرنسا الجزائر 1830 كان محمد بن علي السنوسي مقيما في مدينة بوسعادة ، فغادرها متوجها الى طرابلس حيث كان مهمة الاول هو تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي .[1]

ولقد ادى السنوسي و اتباعه ادوارا مختلفة في دعم و مساندة الثورات الجزائريين فيجهادهم ضد الفرنسين و يقول محمد الطيب الاشهب بهذا الصدد ان هناك قضية تحز في نفس ابن السنوسي و تشغل الكثير من تفكيره ، "تلك هي الاحتلال الفرنسي لبلاده الاولى و مسقط راسه الجزائر، فكان يبذل جهود كبيرة لتقوية الثورة هناك و صدها بالأموال ز الرجال ما استطاع اليه سبيلا".[2]

و بعد وفاة محمد بن علي السنوسي تراجع اهتمام الحركة السنوسية بالمقاومة الجزائرية في الجزء الشمالي منها و اولت كل تركيزها على مقاومة الغزو الفرنسي في السودان الغربي و هذا ما دفع السنوسيين إلى التفكير بتغيير إستراتيجية الجهاد و تحويلها من طابع الهجوم الى استراتيجية الجهاد و تحويلها من طابع الهجوم الى استراتيجية الدفاع ببناء الزوايا السنوسية في مناطق كثيرة لتتولى التحدي لتغلغل الفرنسي و منعه من السيطرة على المزيد من الاراضي و للانتقال بالمقاومة من الشمال الى مناطق الصحراء لأبعادها عن السواحل حيث توجد خطوط امداد القوات الفرنسية، ثم لمواجهة الوحف الفرنسي الذي اخذ بالتمدد و التوسع.[3]

---

1 ظاهر محمد صكر الحسناوي، الحرب السنوسية الفرنسية في الصحراء الكبرىن (1837_1913)، مجلة الاستاذ، جامعة بغداد كلية التربية ابن الرشد للعلوم الانسانية، العدد 218 المجلد الأول لسنة 2016_1437ه، ص 162

2 الطيب الاشهب، المرجع السابق، ص 210

3 ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق ص 165.

كما غيرت الحركة السنوسية اتجاهها من الشمال الافريقي الى وسط الصحراء و جنوبها في عهد محمد المهدي الابن الكبر لمؤسس الحركة السنوسية ولد المهدي في زاوية البيضاء بالجبل الاخضر عام 1844م تعلم فيها تعلما دينيا ثم أرسله أبوه سنة 1853م إلى زاوية أبي قبيس في مكة ليتعلم على ايدي كبار شيوخ السنوسية، و في عام 1857م عاد إلى الجغبون ليواصل تعليمه في معهدها الديني و عندما توفي والده بايعه السنوسيون ليتولى قيادة الحركة السنوسية، حيث عمل المهدي السنوسي فور توليه قيادة الحركة على ضرورة العمل على توسيع نطاق الحركة نحو الجنوب وفق خطوات مرسومة و عليه فقد قرر المهدي الانتقال من الجغبون إلى الكفرة و كان ذلك سنة 1896م و عند وصوله الى الكفرة حضي باستقبال كبير و شرع المهدي ببناء زاوية التاج و اصبحت الكفرة عاصمة للحركة السنوسية [1]

فالحركة السنوسية كان لها نفوذ اسلامي كبير خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر من برقة و انيدي و كانم و وادي، وهذا ما دفع فرنسا للقيام بمهمة الهجوم الاعلامي و السياسي على الحركة السنوسية و ارسلت عددا من الرحالة للتجسس عليها و جمع المعلومات عنها ومنهم الرحالة هنري دوفيرييه الذي أكد على أنها حركت و دعمت جميع الثورات التي حدثت في الجزائر ضد الفرنسيين.[2]

ثم ان ما ثار مخاوف السنوسيين هو الخطر الفرنسي تحديدا بعد الاحتلال الفرنسيين لتمبكتو عام 1894م المدينة الأقرب إلى الاماكن انتشار الحركة السنوسية في جنوب الصحراء، و هذا ما اكده محمد الصلاحي اذ قال: "كان الامام مهدي يرسلالبعثات الاستكشافية في الصحراء، وحفر الابار و يتفقد الطرق و المواصلة الى وسط السودان الغربي، وكانت تلك الاستعدادات تجري على قدم و ساق في جو من الكتمان الشديد و بعد اربع سنوات من المكوث في الكفرة شدا رحاله الى زاوية قرو في برقة في السودان الغربي ليشرف بنفسه على تنظيم المقاومة لمواجهة القوات الفرنسية.[3]

1 علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 247.
2 المرجع نفسه، ص 249.
3 علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 263.

ومنذ ان حط رحاله في قروا خد محمد المهدي يتهيأ لمواجهة الفرنسيين و الذين كانوا يستعدون هم بدورهم لمعركة فاصلة مع السونسيون، فأرسل محمد المهدي الشيخ محمد البراني الساعدي إلى كانم فبنى زاوية في بئر العلالي و طفق يجمع جيوشا لمواجهة الزحف الفرنسي، حيث بدأت القوات الفرنسية يتقدم نحو إقليم كانم شمالا، و تشكلت في كانم حركة مقاومة شعبية ضمت قبائل مختلفة من الليبيين من اولاد سليمان و الزاوية و غيرهم، وقد ازدادت المقاومة في وجه القوات الفرنسية و خاض المجاهدون معاك متعددة مع الفرنسيين في منطقة كانم من أهمها معركة العصفر و معركة نقور، و في 1901جرت معركة بئر العلالي الاولى بين المجاهدين من القبائل الليبية و بين القوات الفرنسية التي لم تستطع الصمود امام المجاهدين حيث تم فيها هزيمة الفرنسيين و مطاردتهم و قتل فيها ميلو MILOOTقائد القوات الفرنسية .[1]

و يصف محمد فؤاد شكري هذه المعركة بقول: "تقدم الفرنسيون صوب كانم و استعد السنوسيون لملاقاتهم فوضعوا حامية كبيرة في البئر العلالي، و عهد السيد المهدي الى ابن اخيه السيد احمد الشريف بإدارة الحرب و الجهاد ضد الفرنسيين و اشتراك في القتال قادة من السونسيين على رأسهم محمد البراني

ثم جرت معركة بئر العلالي الثانية في يومي 4_5 كانون الاول 1902وكانت معركة دامية سقطت فيها بئر العلالي في ايدي الفرنسيين و انهزم محمد البراني بينما تكبد الفرنسيون مائتين و ثمانين قتيلا بينهم خمس و عشرون ضابطا وفي اليوم التالي زحف الفرنسيون بقوة كبيرة اشتبكت مع المجاهدين و اجبرتهم على الانسحاب و احتلال الفرنسيين لزاوية تم صدموها و بنوا مكانها قلعة حصينة.[2]

1 احمد حدقي الدجاني، المرجع السابق، ص ص 31_232.

2 احمد حدقي الدجاني ، المرجع السابق، ص234.

وفي هذه الاثناء وصل الى المجاهدين خبر وفاة الامام المهدي، بعد ان اشتد المرض عليه وكان ذلك يوم الاحد24 صفر 1320ه الموافق 2يونيو 1902في زاوية قرو و اقترح احمد الريفي نقل جثمان المهدي الى الكفرة فتم ذلك و دفن في زاوية التاج.[1]

1 محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 265.

المبحث الثاني: الأطماع الايطالية وغزوها لليبيا

أ) اطماع ايطاليا لاحتلال ليبيا :

بعد ان حققت ايطاليا وحدتها القومية سنة 1870م بدا تسير في الاتجاه العالم الذي سارت فيه الدول الاوروبية الاخرى و هو التوسع و انشاء المستعمرات، وقد اتجهت في البداية الى تونس و بدأتبإرسال رعاياها لتكون جالية لها في البلاد. ولكن فرنسا سبقتها فاحتلت تونس عام 1881م فاتجهت ايطاليا نحو شرق إفريقيا و انشات مستعمر في ارتريا و الصومال. و في بداية القرن العشرين اتجهت لتمهيد لاحتلال ليبيا كجزء من سياستها التوسعية الاستعمارية و قد كانت ليبيا اخر ولاية عثمانية في شمال افريقيا.[1] وعليه فقد رات ايطاليا من مصلحتها ان لا تفوت هذه الفرصة و ان تبادر الى تحقيق هذا الحلم الذي طالما راودها منذ عدة عقود من الزمن، فراحت تتطلع الى تنفيذ رغبتها في احتلال ليبيا متخذتا عدة تدابير عملية للتمهيد للغزو و منها

- اسست فرعا لمصرف بنك روما سنة 1905م لاقراض الناس و استثمار الاموال وبهذه الطريقة امتلك المصرف اراضي واسعة في البلاد، حيث كان هذا البنك يقرض الاهالي الاموال بشروط تبدو للمقترض انها سهلة تسير غير انها تبطن شرا مستطيرا، ذلك ان التأخر في تسديد الدين يؤدي بالأرض المرهونة الى ان تسجل ملكا للبنك.[2]

- ارسال جالية ايطالية و تشجيع رعاياها على الهجرة الى البلاد و لكي تجد المبرر للتدخل بين حين و الاخر.

- انشاء مدارس لنشر الثقافة الايطالية كما انشات مكاتب البريد و كثير من المشاريع الاخر لخدمة مصالحها الاستعمارية .

1 محمود حسن صالح منسي، الحملة الايطالية على ليبيا، (د، ط)، دار الطباعة الحديثة بالقاهر، ص 22.
2 نكولا زيادة، المرجع السابق، ص 80.

- ارسال بعثات عملية و عسكرية لدراسة شؤون الولاية من جميع النواحي و الاستفادة من ذلك اثناء التخطيط للغزو .

- التدخل في شؤون الولاية الداخلية محاولة التخلص من كل مامن شانه عرقلة الغزو،كإبعاد الولاة و الموظفين و المعارضين لمشاريع ايطاليا في الولاية .

- تقصر الحكومة العثمانية في الاستعداد للدفاع عن الولاية مع علم بنية الايطاليين العدوانية.[1]

ثم ان الدولة العثمانية التي كان يخضع لها اقليما طرابلس و بنغازي قد اهملت منطقة ليبيا باعتبارها منطقة فقيرة بمقارنة بالمناطق الاخرى ما جعلها تحوص على الاهتمام بها وهذا أيضا ما جعل ايطاليا تزداد حرصا على ان تكون ليبيا مستعمرة ايطالية، حيث قامت ايطاليا بين(1887_1902م) بعمل كبير على الصعيد الدبلوماسي بتوقيعها لعدد من الاتفاقيات الدولية التي مكنتها فيما بعد من الاستلاء على هذه المقاطعة التركية و طبقا لهذه الاتفاقيات انتزعت منهم تأشيرة احتلال ليبيا حيث ايدتها كل من بريطانيا و فرنسا و المانيا و روسيا القيصرية ووضعت طرابلس تحت تصرف ايطاليا.[2]

يضاف الى ذلك كلية فقد كانت القنصلية الايطالية في طرابلس و بنغازي مركز للنشاط السياسي و الدعاية الايطالية و التجسس على اهل البلاد و ساهمت الدعاية و الصحافة في تغذية الروح الغذائية ضد العثمانيين و الطرابلسيين التقليل من شانها بحجة عدم اهليتهم لحكم الولاية و ادارتها.[3]

في عام 1907م سمحت الحكومة العثمانية الايطالية بأرسال بعثة عسكرية من عدة ضباط تحت شعار انها بعثة علمية للبحث عن الاثار، و كانت المهمة الحقيقية لهذه البعثة ان تضع الخرائط

1 شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب) ط1، 1971، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة (د، ت) ص368.

2 بروشين، المرجع السابق، ص385.

3 محمود حسين، صالح منسي، المرجع السابق، ص24.

الحربية لجميع المناطق التي تمر بها. كما كان مشاط ايطاليا كبير في المشروعات الاقتصادية المعدنية فقد انشئت شركة ايطاليا للاستغلال الفوسفات و التنقيب عن المعدن في ليبيا .[1]

حيث بذل بنك روما جهود لفرض إيطاليين على اسواق طرابلس خاصة و برقة فقد زاد الايطاليون من شحن بضائعهم الى طرابلس خاصة تلك البضائع المصنعة و الاقمشة و الخمور و السكر و الجبن و الورق و في سنة 1908م احتلت ايطاليا المرتبة الثانية بعد انجلترا في تجارتها مع طرابلس .[2]

وقد اثار تزايد التوسع الاقتصادي اضافة الى النشاط التجسس التخريبي الذي كان يقوم به العملاء الإيطاليون القلق في عاصمة الامبراطورية العثمانية و لهذا بدأت الحكومة التركية بالمناورات و دخلت في نزاع مع الاوساط الحكمة في ايطاليا و تجلى ذلك في ان الوالي المعين في طرابلس رجب باشا كان المعرض الضعيف للتوسع الايطالي في ولاية طرابلس الغرب.[3]

و هكذا مهدت ايطاليا دوليا باتفاقها مع الدول التي يهمها المر و داخليا بدراسة الاوضاع في ليبيا و الانتشار في مختلف الميادين و الارتباط بالعديدمن الشخصيات الليبية الهامة لتحقيق اطماعها في ليبيا و السيطرة عليها بحيث لم يكن امام ايطاليا الا ان تختار الوقت لتضرب ضربتها.[4]

1 شوقي الجمل، المرجع السابق، ص، 373.

2 بروشين، المرجع السابق، ص 387.

3 نفسه، ص 388.

4 شوقي الجمل، المرجع السابق ص 374.

ب) الهجوم الايطالي على ليبيا:

اتبعت ايطاليا سياسة خبيثة في احتلالها لليبيا تقوم على التغلغل البطيء داخل البلد و احكام السيرة الاقتصادية و المخابراتية عليها قبل العدوان العسكري و الحربي، و جعلت لاحتلالها مقدمات مهدت بها لوطء التراب الليبي و الاستلاء عليه .[1]

و اصبحت الطريق الممهدة امام ايطاليا لاحتلال ليبيا ارسلت انذارا للدولة العثمانية في 27سبتمبر1911م متدعي فيه سوء معاملة النظافة في ليبيا للجالية الايطالية و اصطادهم وكانت مدة الانذار 24 ساعة فقط .[2]

و تضمن هذه الانذار النقاط التالية :

- تذكير ايطاليا المستمر لباب العالي بالضرورة القصرى لوضع حد لتلك الفوضة و الاهمال اللذين تركت فيها طرابلس و برقة من قبل الحكم التركي .

- ان مساندة الحكومة الايطالية الدائمة للإمبراطورية العثمانية في كثير من المسائل السياسة في تلك الفترة الاخيرة قوبلت بتجاهل رغبات ايطاليافي ولاية طرابلس

- رفض الحكومة الايطالية لاقتراح استانبولبأجراء مفاوضات تمنح بمقتضاها ايطاليا امتيازات اقتصادية في الولاية و تحفظ لاستانبول سرفها و مصالحها العليا.

- الادعاء بان قناصل ايطاليا في طرابلس و برقة تصور ظهور الحركة السائدة ضد الايطاليين و التي خلفها فيما بعد ضباط و هيئات اخرى من السلطة المحلية.

- إن الحكومة العثمانية ترسل الناقلات العسكرية لتزيد من تأزم الموقف في البلاد، الأمر الذي يدفع ايطاليا لاتخاذ تدابير اللازمة ضد هذا العمل .

1موقع الانترنت :.http//www.alukah.net/cuttur/o/120764/، بتاريخ 8 اوت 2018 على الساعة 17:00 .

2 بروشين، المرجع السابق، ص 394.

- قررت الحكومة الايطالية الإقدام على الاحتلال طرابلس عسكريا لان ذلك الحل الوحيد الذي يدفع ايطاليا لاتخاذ التدابير اللازمة ضد هذا العمل .

- تطلب الحكومة الايطالية إصدار الاوامر للمقبلين و السلطات العثمانية في الولاية بعدم مقاومة الغزو، و من الممكن الاتفاق على تنفذه دون اية عراقيل و تستخدم بعده القرارات اللازمة لتسوية الحالة التي تستنتج عنه.[1]

وهكذا وعلى الرغم من ان الدولة العثمانية ابدت استعدادهالتنفيذ معظم النقاط التي جاءت في هذا الانذار و خاصة فيما يتعلق بتحسين اوضاع الرعايا الايطاليين و تقديم امتيازات اقتصادية واسعة لدولة ايطاليا في ولاية طرابلس الغرب الا ان الحكومة الايطالية اصرت على اتخاذ الاجراءات و التدابير العسكرية و اعلنت احتلالها لليبيا و دخل الاحتلال حيز التنفيذ بدءا من 29سبتمبر 1911م[2]

حيث بدا الاسطول الايطالي في قصف المدن الليبية فقصفت (درنة) ثم (طرابلس) ثم (بنغازي) ونزلت الجيوش الايطالية السواحل الليبية بثلاثمائة و اربعين الف جندي من المشاة و كميات ضخمة من الاسلحة و الذخائر، في حين كانت الحامية العثمانية تقدر بخمسة الاف جندي في طرابلس و الفين في برقة.[3]

واطلقت القذائف الاولى في هذه الحرب على درنة ثم تلا ذلك ضرب طرابلس ثم تقدم الايطاليين لاحتلال طرابلس و طرق و درنة و بنغازي و الخمس و لكن هذا الاحتلال لم يكن سهلا، و لا كان خاليا من الهمجية التي تفرضها القوة الغاشية رغبة في القاء الرعب في نفوس الناس، و يبدوا ان الايطاليين كانوا يعتقدون ان السنوسيين ليسوا على وفاق مع الدولة العثمانية

1 عبد المنصف حافظ البوري، الغزو الايطالي لليبيا، (د،ط) ، بيروت ، الدار العربية للكتاب 1983، ص ص 282_283.

2 نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 81.

3 شوقي الجمل، المرجع السابق، ص 376.

ولذا فسوف يكونون بعيدين عن المعارك، ولكنهم دهشوا حين وجدوهم يندفعون لقتالهم غير مباليين بالموت في سبيل الدفاع عن البلاد.[1]

وقد انتظم امر الدفاع عن برقة في اربع معسكرات، فتولى قيادة المعسكر الغربي عزيز بك المصري، كما خاض المجاهدون معارك طاحنة ضد الايطاليين نذكر منها على سبيل المثال {معركة الضبط} قربة درنة و معركة كوفية قرب بني غازي، اما في طرابلس فظهر الايطاليون لان يخوضوا معارك حامية عند "قرقارش" و "بير طبراس" و غيرها من المواقع.[2]

و بعد ان زادت المعارك الحربية و اشتدت حدتها في الولاية خشيت ايطاليا ان تبد في نظر راي العام و الدول الاوروبية انها غبر مؤهلة لتكون دولة استعمارية كبرى،، فسار عن الحكومة الايطالية بإصدار مرسوم ملكي في 5نوفمبر1911م يضم الولاية و كانت غايتها من هذا المرسوم هي اقناع الدول الاوروبية بان ايطاليا قد ملكت زمام الامور في الولاية طرابلس ووضع الامبراطورية العثمانية امام الامر الواقع و اجبارها على الاعتراف بسيادة ايطاليا عليها، اضافة الى ايقاف المعارك الحربية على اعتبار انها ستصبح غير قانونية في مواجهة الدول الايطالية صاحبة السيادة الجديدة .[3]

و ما ان علمت الحكومة العثمانية بصدور هذا المرسوم حتى سارعت للرد عليه بإصدار بيان احتوى على النقاط التالية:

- رفض باب العالي للمرسوم، لأنه يري فيه تناقضا مع القانون الدولي وحالة الحرب القائمة بين ايطاليا و تركيا، وان تركيا مازالت تدافع عن سيادتها لأنها لم تنهزم بعد.

- اعتبرت الحكومة العثماني مرسوم الضم وخرفا لمعاهدات و اتفاقيات دولية عقدت بين الامم و منها اتفاقية باريس و برلين اللتان تعدت ايطاليا فيهما بالمحافظة على السيادة الامبراطورية العُمانية .

1 نقولا زياد، المرجع السابق، ص 82.

2 شوقي الجمل، المرجع السابق ، ص 376.

3 عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 294.

- استناد على هذه الاتفاقيات، فان باب العالي المرسوم لا مفعول له .[1]

ج) توقيع معاهدة الصلح لوزان 1912:

بعد ان اصطدم الغزو الايطالي بمقاومة عنيفة من أهالي ولاية طرابلس و الحامية العثمانية و تكبدت قوات خسائر فادحة في الارواح و المعدات، كما انه لم يستطيع فرض احتلالا واقعيا تاما، حيث اثر هذا على قدرته على المساومة سواء تجاه الدول الاوروبية لإقناعها باستيلائها الكامل على ولاية طرابلس وفي مواجهة الحكومة العثمانية، التي لم تستطع صد الغزو العسكري عليها عموما،[2]الا ان الحكومة العثمانية صارت مع ذلك تهتم بإنهاء الحرب الطرابلسية لأنها رأت ان الحرب تمتد الى الشواطئ التركية ذاتها، كما كانت تتوقع اندلاع الحرب في شبه جزيرة البلقان، واذا فهي تريد ان تتفرغ لواجهة الاخطار الجديدة.[3]

و بناء على هذه الاحداث حدث التقاء في مصالح الطرفين الايطالي و العثماني ، للوصول الى تسوية لحل نزاعها حول ولاية طرابلس يحقق لإيطاليا معالجها واهدافها من الغزو و يحفظ للدولة العثمانية هيبتها. وهكذا تم الاتفاق على توقيع معاهدة الصلح بين الطرفين و التي عقدت في مدينة اوشي بسويسرا (لوزان) بتاريخ15 اكتوبر 1912م و اهم ما نصت عليه :

- ايقان القتال بين الطرفين تركيا _ ايطاليا و على ان تسحب تركيه جنودها من ليبيا .
- احتفظ السلطان بمقتضى المعاهدة بنوع من السيادة الروحية و اهم مظاهرها، حق تعيين القضاة، اذاع السلطان منشور منح فيه الاهالي الاستقلال الداخلي المطلق التام، على ان يعيين ممثلا له في، يمنحه لقب نائب السلطان يقون بحماية المصالح العثمانية.[4]
- اصدر ملك ايطاليا بدوره منشورا الى اهالي ليبيا يذكر فيه ان بلادهم خاضعة خضوعا تاما للسيادة الملكية الايطالية "بناء على قانون صدر قبل المعاهدة بثمانية شهور في فبراير

1- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق ص 295.
2-المرجع نفسه، 301.
3-محمود حسين صالح منسي، المرجع السابق، ص 153.
4-صالح العقاد، ليبيا المعاصرة، (د،ط)، المطبعة الفنية الحديثة 1970، ص 16.

1912م " و يعفو فيه عن الليبين، و يعدم بالمحافظة على الشعائر الدينية الاسلامية و يسمح لهم فيه بذكر اسم جلالة السلطان الاعظم بصفته خليفة المسلمين في الصلوات العامة.[1]

- تعهد الحكومة العثمانية بالامتناع عن ارسال الاسلحة و الذخائر و الضباط لولاية طرابلس.
- التعهد بعدم مطالبة اي من الحكومتين بنفقات اطعام الاسري او ايوائهم.[2]
- يتعهد الطرفان المتعاقدان بالمحافظة على سرية هذا الاتفاق و يشرع في تنفيذه بمجرد توقيعه.

وقد وقع على هذه المعاهدة كل من بيشرو برتو ليني و جيدو فوسينادق و جيوزيب عن ايطاليا ،و محمد نبيهو رومبياوغلو فخر الدين عن الدولة العثمانية، و يلاحظ ان الحكومة العثمانية وقعت على معاهدة الصلح مع ايطاليا دون ان تستشير الزعماء العرب، كما اغلقت رغبات المجاهدين السنوسيين الذين تحملوا العبء الاكبر في المقاومة الغزو الايطالي ووقف تقدم الطيران وشد ازر العدد القليل من الجند العثماني الذين سمحت وزارة حقي باشا ببقائهم في طرابلس.[3]

- نتائج معادة الصلح:

ترتبت على هذه المعاهدة عدة نتائج

-كان للصلح تأثير سيء على الليبيين، فقد كانت القوة المعنوية للحرب تعتمد على وجود الترك و العرب متساندين، و كانت الآمال مازالت معقودة على دولة الخلافة.

-عقب هذا الصلح أسرعت عدة دول اوروبية بالاعترافات بتبعية طرابلسو برقة الطليان.

- لم تحترم الدول اعترافات السلطان بعد تنازله عن الحقوق الشرعية في البلاد بحق الطرابلسيين في بلادهم بل سابقت للاعترافات بحق ايطاليا على طرابلس.

1 نكولا زيادة، المرجع السابق، ص84.

2 عبد المنتصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 348.

3 محمود حسين صالح منسي، المرجع السابق، ص167.

- لم يعترف الوطنيون بما تعنيه معاهدة من انتقال السيادة في البلاد من ايدي العثمانيين الى ايدي الإيطاليين، فالولاء للسلطان العثماني كان قائما على روابط دينية اكثر من اي شيء اخر.

د-كان تصمد تركيا في معاهدة بحسب كل قواتها من ليبيا في نظير أن يسلم الايطاليون إلى تركيا جزر الدوديكانيز dodacanese التي احتلتها ايطاليا أثناء الحرب اثر الصعقة على الليبيين لأنهم أدركوا أن الدولة العثمانية قد تخلت عنهم دون أن تعطيهم فرصة للاستعداد، فكانت عليهم أن يواجهوا المغتصب لبلادهم و هم بأنفسهم و بقوتهم الذاتية .[1]

وقبل توقيع معاهدة الصلح و انطلاقا من الاتفاقية التي تم التوصل اليها كانت الحكومة الايطالية قد توجهت مسبقا الى الدول الاوروبية العظمى طالبة منها ان تشارع الى تأييد قرارها بضم برقة و طرابلس ، وفي 19 أكتوبر 1912م أحاطت كل من فرنسا، و الدولة النمساوية ، المجرية و انجلترا و المانيا الحكومة الإيطالية علما باعترافها رسميا بواقع ضم ايطاليا الممتلكات التركية في شمال افريقيا.

أما السنوسيون فقد اعتبروا توقيع هذه المعاهدة بمثابة اعلان استقبال للأمارة السنوسية حيث قال السيد احمد الشريف: "نحن و الصلح على طرف نقيض و لا نقبل صلحا بوجه من الوجود اذا كان ثمن هذا الصلح تسليم البلاد الى العدو".[2]

وهكذا فقد عجزت طرابلس الغرب، شانها شان الجزائر و تونس و مراكش عن احياء نفسها بنفسها، فوقعت فريسة لإحدى الدول الاوروبية التي اخدت من ثم تنهض بأعباء ادارتها واستصلاحها و صار يطلق عليها اسم "ليبيا الايطالية".[3]

1 شوقي الجمل، المرجع السابق، ص378.
2 نكولا زياد، المرجع السابق، ص 95.
3 فيرو، المصدر السابق، ص 531.

خاتمة

خاتمـــــة

في مطلع القرن التاسع عشر عاشت أوروبا حروبا وثورات غيرت فيما بعد موازين القوى فيها ولعبت الثورة الفرنسية الدور الأهم في هذا التغير ، لكن هذه الصراعات لم تبقى في أوروبا فقط ، بل توجه هذا الصراع نحو البحر الأبيض المتوسط ومن يستطيع فرض سيطرته فيه ، وهذا من اجل ما يكتسبه من أهمية كبيرة ، وهذا الصراع الذي مثلته فرنسا وانجلترا بشكل كبير انعكس على ايالات الدولة العثمانية في شمال إفريقيا .

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج وأهمها كما يلي:

- لاحظنا أن نابليون بونابرت قد حاول السيطرة على البحر الأبيض المتوسط وقطع الطريق أمام انجلترا وهذا بعدما سيرا حملته نحو مصر لاحتلالها .

- رأينا ما نتج عن الحملة الفرنسية على مصر والانعكاسات التي ترتبت عنها خاصة على طرابلس الغرب ، حيث استفاد يوسف باشا من هذه الحملة وتقرب من فرنسا خوفا منه ان تهاجم بلاده .

- تمكن يوسف باشا اللعب على الحبلين بين فرنسا و الدولة العثمانية محاولا منه أن لا يخسر الاثنين.

- رأينا أيضا صراع انجلترا وفرنسا في مصر وتفوق الانجليز عليهم وبتالي فرض سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط .

- إن مؤتمر فيينا سنة 1815م قد وجه ضربة مؤلمة وهذا بعدما تقرر فيه منع جهاد البحري "منع القرصنة" الذي كانت تعتمد عليه طرابلس الغرب في تغذية اقتصادها .

- يعتبر مؤتمر اكس لاشابيل امتدادا للمؤتمر فيينا من حيث قراراته المتعلقة بإيالات شمال إفريقيا ، وهي منعها من الجهاد البحري وهذا من اجل ضرب اقتصادها و إضعافها .

- أن حملات الأوروبية نحو طرابلس الغرب فرضت عليها الرضوخ والخضوع للدول الأوروبية وهذا بعدما وقع يوسف باشا على تعهد بأن يوقف نشاطه البحري .

- كل هذه الأحداث تركت أثار سلبية على طرابلس الغرب وهذا ما تضح لنا بعد دخول طرابلس الغرب في ضائقة مالية خانقة وجعلت أحوال البلاد تسوء .

- ورأينا تجرؤ دويلات صغيرة على طرابلس الغرب التي كانت في السابق لا تفكر أبدا في تسير حملات عسكرية نحو طرابلس الغرب وكانت خاضعة ليوسف باشا ، وكل هذا بسبب تراجع طرابلس الغرب بعد تدهور اقتصادها .

- قيام يوسف بعدت سياسات لتجاوز هذه المحنة من احتكار وفرض الضرائب وتزوير العملة إلا أن كلها باءت بالفشل .

- اندلاع ثورات وتمرد الزعامات جاء كالرد على سياسة يوسف باشا خاصة فرضه لضرائب استثنائية .

- انتهاز قناصل الدول الأوروبية للأوضاع وتشتيت كل أوراق يوسف باشا بعد إغراقه بالديون التي لم يستطع تسديدها، واستطاع القناصل الأوروبيون ممارسة الضغط على يوسف باشا.

- وكما رأينا آن كل هذه الظروف أتعبت يوسف باشا وتأكده بأنه لا يستطيع مواجهتها وهذا مقام به عندما تنازل عن الحكم لصالح ابنه علي الثاني

- وقد تطرقنا إلى مراسم تتويج علي الثاني حاكما لطرابلس ومنه استنتجنا بأن يوسف باشا كان نادما على ما أرتكبه من أخطاء جعلت منه يوصل البلاد إلى تدهور والسقوط وهذا من خلال خطابه لابنه و وصياه له.

- ولاحظنا أيضا أن بيت الأسرة القرمانلية لا يخلو أبدا من الصراعات فيما بينهم وهذا أيضا مسارعا في سقوط هذه الأسرة .

- لقد انتبهت الدولة العثمانية وخاصة بعد سقوط الجزائر واحتلالها من طرف فرنسا سنة 1830م بأن زعامتها في البحر الأبيض توشك أن تختفي فسارعت بالتدخل في طرابلس الغرب .

- كان أول تدخل عثماني في طرابلس الغرب سياسي وهذا بعد توليتها لعلي باشا بفرمان سلطاني .

- لكن لم تتوافق الدولة العثمانية مع علي باشا فسارعت إلى توجيه حملة عسكرية بقيادة نجيب باشا سنة 1835م

- رأينا كيف سارت هذا التدخل العثماني الثاني واستطاع قائد الحملة دخول إلى طرابلس الغرب وبتالي سقوط الأسرة القرمانلية بشكل نهائي .

- كما أن تواجد العثمانيين للمرة الثانية لم يكن كما في سابق فقد واجهوا ثورات من الزعامات المحلية التي كانت ناشطة من عهد يوسف باشا .

- وقد برهنا كل من غومة المحمودي وعبد الجليل بأنهم زعماء من طينة الكبار حيث استطاع وان ينهكوا العثمانيين و لم يستسلموا لهم أبدا وكانت مهمة القضاء عليهم صعبة جدا.

- بعد هذه الأحداث رأينا كيف ظهرت الحركة السنوسية ومن هو مؤسسها وما الأهداف التي ظهرت من اجلها .

- وقد تعرفنا على الحركة السنوية بأنها حركة دينية إصلاحية تجديدية وهذا ما جعلها تكون من أهم الحركات،حيث أخذت هذه الحركة بالمنهج الشمولي للإسلام فجمعت بين العلم والعبادة والعمل .

- ورأينا كيف استفادا السنوسيين من الأخطاء التي وعت فيها بعض الحركات الإصلاحية فحرصوا على تجنب الصدام مع السلطة العثمانية بل أنهم كانوا على علاقة توافق معها ، كما عمل السنوسيين على تحسين علاقتهم معها في كل الأحوال.

- وعلى هذا الأساس اعترفت الدولة العثمانية بهذه العلاقة الحسنة وحثت حكامها بطرابلس على ضرورة توثيق هذه العلاقة، ومساعدتهم قدر المستطاع.

- اتخذت الحركة السنوية على عاتقها إصلاح المجتمع وإعداده حتى يكون قادرا على مواجهة التحديات الخارجية .

- استطاع السنوسيين التصدي لفرنسا بعدما خاضوا مقاومة ضدها بكل شراسة وبسالة واستطاعوا أن يقفوا في وجهها ، وأيضا ضد ايطاليا .

- ورأينا أيضا كيف مهدت ايطاليا للاحتلال ليبيا وهذا بفتح المدارس والمستشفيات ، وأكثروا من البعثات الايطالية والتي كانت في الحقيقة عبارة عن بعثات جوسسية ، كما فتحت بنك روما وهذا من اجل شراء الأراضي الليبية.

- كما عملت ايطاليا على توقيع عدة معاهدات مع الدول الأوروبية لتحقق أطماعها في ليبيا .

- وأبدت ايطاليا نيتها في احتلال ليبيا بعد توجيها إنذار إلى الدولة العثمانية وقررت من خلاله التدخل العسكري في ليبيا.

- كما لاحظنا بأن ايطاليا كانت لها أطماع مباشرة وهذا من خلال حصولها على تأييد الدول الأوروبية من اجل ضم ليبيا إليها .

- وقد كان انسحاب الدولة العثمانية من الأراضي ليبيا بعد ضعف الأخيرة، ولهذا أصدرت فرمانا يمنح الليبيين الاستقلال الداخلي.

- و لم تجد ايطاليا صعوبة تذكر بعد انسحاب العثمانيين واستطاعت ايطاليا القيام بالغزو على ليبيا وفرض عليها توقيع معاهدة لوزان سنة1912م

الملاحق

الملحق رقم 01 : صورة نابليون بونابارت

[1]

[1] أحمد حافظ عوض ، نابليون بونابارت في مصر ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، مصر ، 2012، (د ط)، ص 10.

الملحق رقم 02: الجدول الاتي يبين مجموع القوة الفرنسية وطريقة نقلها على السفن من الموانئ المختلفة .[1]

موانئ السفر	بوارج	فرقاطات	سفن وطرادت	نقالات	جنود	خيول
طولون	١٣	٧	٦	١٠٦	٢٠٠٠٠	٤٧٠
مرسيليا			٢	٣٠	٣٢٠٠	٦٠
كورسيكا			١	٢٠	١٢٠٠	
جنوا		١	١	٣٥	٣١٠٠	٧٠
سفاتافيتشيا		١	١	٤١	٤٣٠٠	٨٠
المجموع	١٣	٩	١١	٢٣٢	٣١٨٠٠	٦٨٠

[1] أحمد حافظ عوض ، نابليون بونابارت في مصر ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، مصر ، 2012، (د ط)، ص 84.

الملحق رقم 03: نابليون بونابررت في مصر[1]

[1] أحمد حافظ عوض ، نابليون بوناپارت في مصر ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، مصر ، 2012، (د ط)، ص 104.

الملحق رقم 04: تذاكر أو بطاقات الدين التي كان يمنحها يوسف باشا [1]

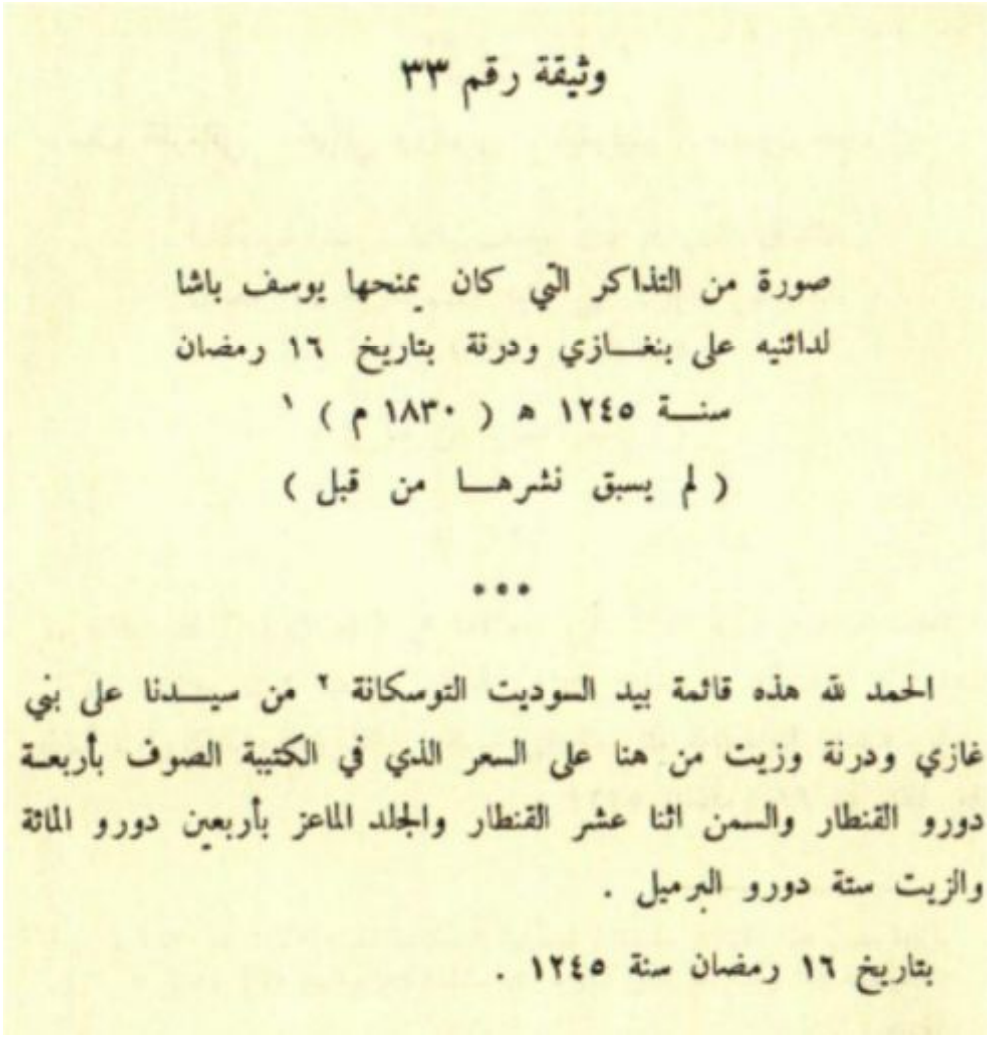

وثيقة رقم ٣٣

صورة من التذاكر التي كان يمنحها يوسف باشا
لدائنيه على بنغـــازي ودرنة بتاريخ ١٦ رمضان
سنـــة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) [١]
(لم يسبق نشرهـــا من قبل)

• • •

الحمد لله هذه قائمة بيد السوديت التوسكانة [٢] من سيـــدنا على بني غازي ودرنة وزيت من هنا على السعر الذي في الكتيبة الصوف بأربعة دورو القنطار والسمن اثنا عشر القنطار والجلد الماعز بأربعين دورو المائة والزيت ستة دورو البرميل .

بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢٤٥ .

[1] عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1835م ، مكتبة الفرجاني ، بيروت، 1966م ، ط 1، ص، 453

الملحق رقم 05: منشور تغيير العملة القديمة وظهور الجديدة [1]

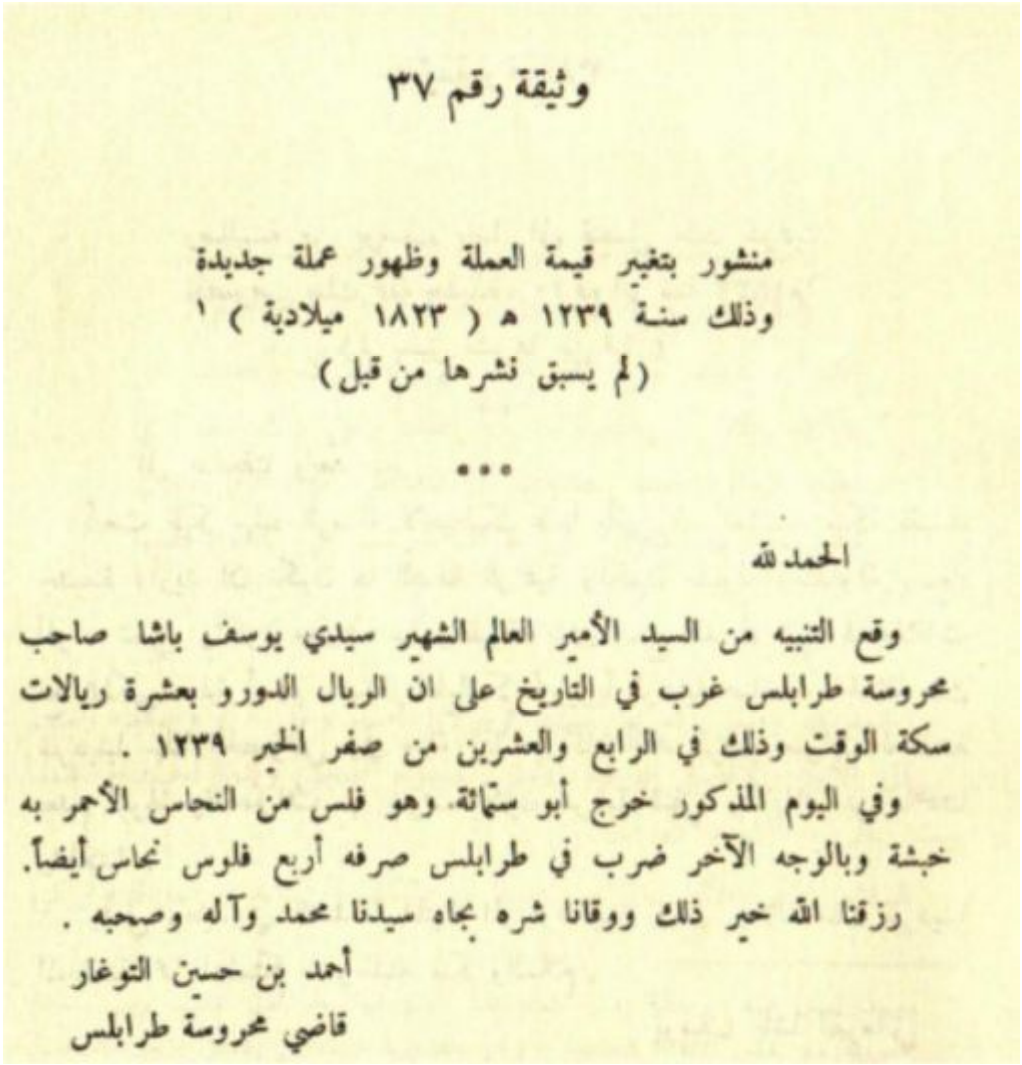

وثيقة رقم ٣٧

منشور بتغيير قيمة العملة وظهور عملة جديدة
وذلك سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ ميلادية) ١
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

الحمد لله

وقع التنبيه من السيد الأمير العالم الشهير سيدي يوسف باشا صاحب محروسة طرابلس غرب في التاريخ على ان الريال الدورو بعشرة ريالات سكة الوقت وذلك في الرابع والعشرين من صفر الخير ١٢٣٩ .

وفي اليوم المذكور خرج أبو ستّمائة وهو فلس من النحاس الأحمر به خبشة وبالوجه الآخر ضرب في طرابلس صرفه أربع فلوس نحاس أيضاً.

رزقنا الله خير ذلك ووقانا شره بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه .

أحمد بن حسين التوغار
قاضي محروسة طرابلس

[1] عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1835م ، مكتبة الفرجاني ، بيروت، 1966م ، ط 1 ص ، 463

الملحق رقم 05: رسالة يوسف باشا الى محمد بيك يحدد له فيها نوع الضرائب التي يجب ان ياخدها من السكان [1]

وثيقة رقم ٣٩

رسالة يوسف باشا القرمانلي الى محمد بيت المال
وذلك بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١م)[1]
يحدد له فيها نوع الضرائب التي يجب أن يأخذها من
سكان برقة كما يطلب منه أن يضغط على بيك بنغازي
ليقوم بتسديد قيمة البطاقات أو التذاكر التي على بنغازي
لكي يتجنب المشاكل التي سوف تترتب على تأخير دفعها

* * *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
الى الأجل الأفضل الوجيه الأمثل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال ، أكرمه الله آمين .
السلام الأتم والأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وأزكى تحياته ، يليه اعلامكم بعد السلام عن كلية أحوالكم وأنه بلغنا جوابكم وقريناه وفهمنا ما فيه وجميع ما ذكرت صار في علمنا ، عرفنا بما أنت عليه من الوقوف والاجتهاد فيما كلفناك به ، ولم تمسك فترة ولا رخوة في جميع المصالح ، وراد بالك من كل جهة وجانب ، وأنك فرقت حق المرابع على أهل بنغازي وباديتها ، ومتوجه لدرنة الى آخر ما ذكرت علمنا ذلك ، ما فعلت الا ما هو في المراد مثلك من يكون ويصلح لمباشرة الامور المهمة وبهي ويفرغ السر : غير أشبح [1] كيف تتحيل في أمر الخلاص بألا تقبل إلا الشيء الذي تعرفه ينفعنا وبهنينا من باب دور [2] وفجره [3] ونعمه [4] وعن مثل ما عرفناك في الجواب الأول: وأما الابل لا تقبلها ولا لنا فيها مصلحة ، ولا تحصل لنا منها منفعة ، كما لا يخفاك تمشي قروش وعروش ولا نوقفوا بها شيء ، وخيارك الانسان ما يساعد الا في الشيء الذي يعرف فيه ثمرته وصلاحه، والناس يقولوا من جعر فيما ضره الشيطان غره ، وغيرك يحتاج زيادة التأكيد من هذا الجانب .

وأما قضية التجريدة وأحوالها حتى وان كان ظفرت بمطلوبها وروحت ما زال الغربي يولد لنا في المشاوير ورقاقيصه [5] ماشين جايين بهذا المعنى وبدعواه أنه يتعرض ويتكلم علينا ويكتب لنا في جوابات والله العظيم ما يخاطبوا بيهم حتى اليهود والتوبيخ والعتاب والتهديد ، ولعلك اطلعت على جواباته لباي بنغازي،ولكن المقدر كابن ورد الواقع محال . قدر ربنا علينا بخلطته حتى سمعنا ما نكرهه .

[1] عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1835م ، مكتبة الفرجاني ، بيروت، 1966م ، ط 1ص ، 475.

الملحق رقم 06: رسالة محمد شاكر الى السلطان حول الاوضاع الداخلية في ايالة طرابلس [1]

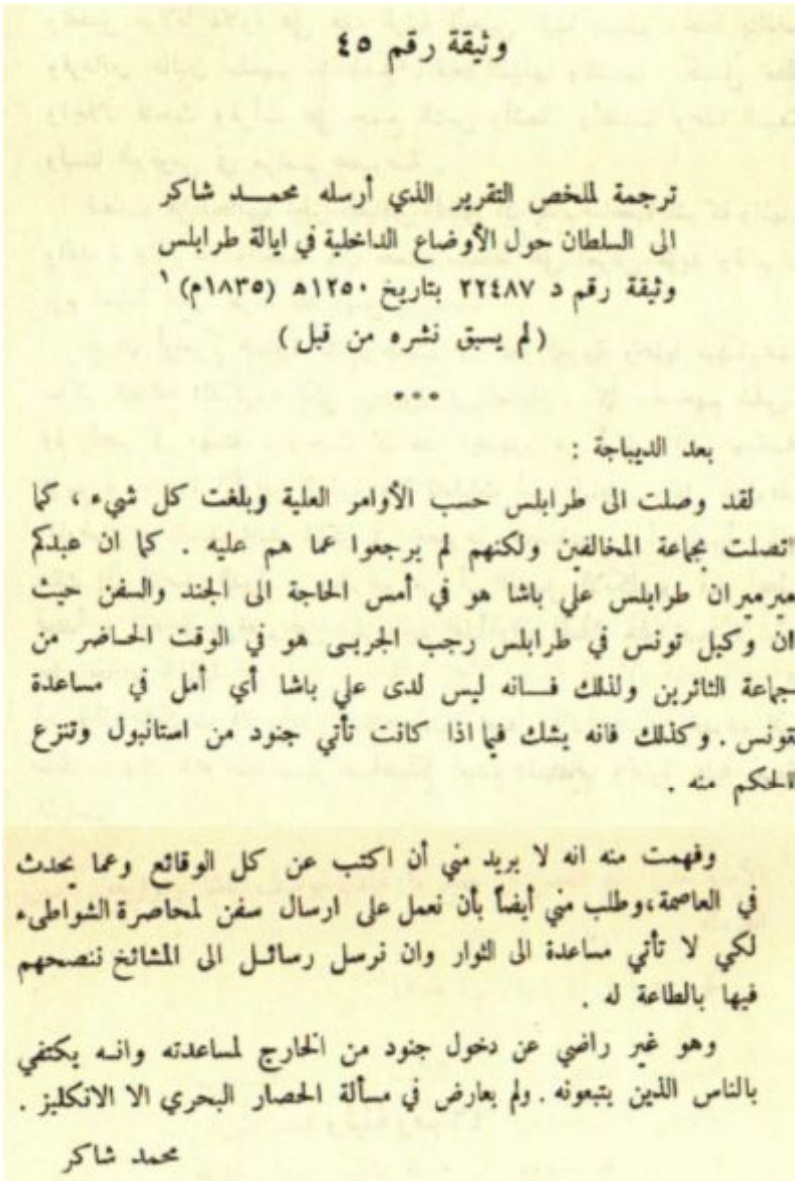

وثيقة رقم ٤٥

ترجمة لملخص التقرير الذي أرسله محمـــد شاكر
الى السلطان حول الأوضاع الداخلية في ايالة طرابلس
وثيقة رقم د ٢٢٤٨٧ بتاريخ ١٢٥٠هـ (١٨٣٥م) [1]
(لم يسبق نشره من قبل)

...

بعد الديباجة :

لقد وصلت الى طرابلس حسب الأوامر العلية وبلغت كل شيء ، كما اتصلت بجماعة المخالفين ولكنهم لم يرجعوا عما هم عليه . كما ان عبدكم ميرميران طرابلس علي باشا هو في أمس الحاجة الى الجند والسفن حيث ان وكيل تونس في طرابلس رجب الجربي هو في الوقت الحاضر من جماعة الثائرين ولذلك فـــانه ليس لدى علي باشا أي أمل في مساعدة تونس . وكذلك فانه يشك فيما اذا كانت تأتي جنود من استانبول وتنزع الحكم منه .

وفهمت منه انه لا يريد مني أن اكتب عن كل الوقائع وعما يحدث في العاصمة، وطلب مني أيضاً بأن نعمل على ارسال سفن لمحاصرة الشواطىء لكي لا تأتي مساعدة الى الثوار وان نرسل رسائـل الى المشائخ ننصحهم فيها بالطاعة له .

وهو غير راضي عن دخول جنود من الخارج لمساعدته وانـه يكتفي بالناس الذين يتبعونه . ولم يعارض في مسألة الحصار البحري الا الانكليز .

محمد شاكر

[1] عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1835م ، مكتبة الفرجاني ، بيروت، 1966م ، ط 1ص ، 482

الملحق رقم 07: وثيقة رسالة الشيخ غومة إلى السلطان عبد الحميد [1]

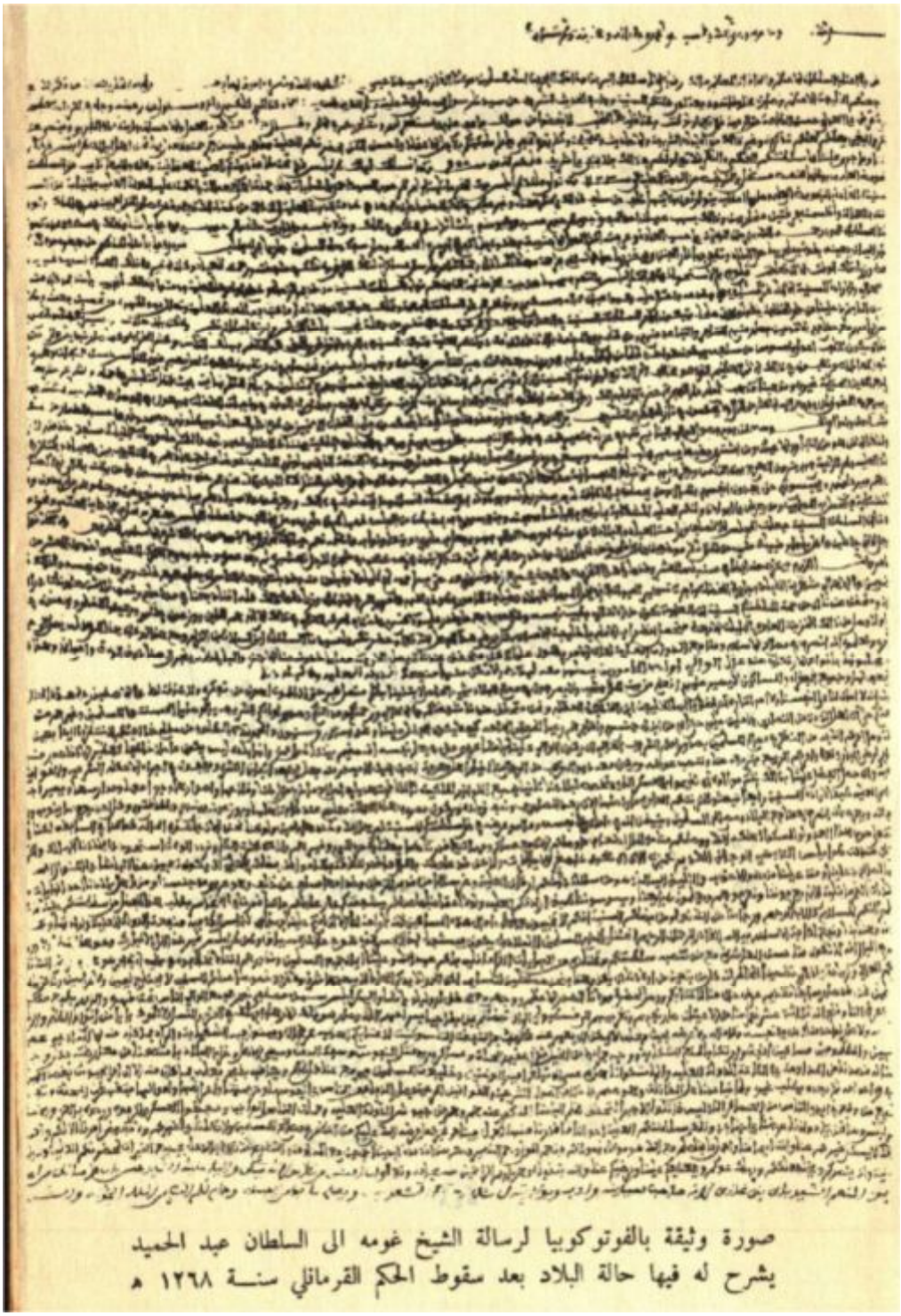

صورة وثيقة بالفوتوكوبيا لرسالة الشيخ غومه الى السلطان عبد الحميد
يشرح له فيها حالة البلاد بعد سقوط الحكم القرمانلي سنة ١٢٦٨ هـ

[1] عمر علي بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا 1795- 1835م ، مكتبة الفرجاني ، بيروت، 1966م ، ط 1 ص، 546.

قائمـــــة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر

والمراجع

المصـــادر:

القرآن الكريم

- روسي ايتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر خليفة محمد التليسي،الدار العربية للكتاب، الإسكندرية ، ط1، 1974م.
- فيرو شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، تح محمد عبد الكريم ، منشورات جامعة قازيوس، (د ب ن) ،(د س ن)،(د ط).
- فولايان كولا ، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرامنلي ، تر: د.عبد القادر مصطفى المحيشى، مرا : د.صلاح الدين السورالي ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، طرابلس ،1988م، ط1.
- ميكاكي رودولفو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرامنلي ، تر:طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا، (د س ن)، (د ط).
- النائب الأنصاري الطرابلسي احمد بك ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجاني ،طرابلس ، ليبيا، (د س ن) ، (د ط).

المراجع:

- أبو الروس أيمن ، نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا ثم وقع في الفخ الروسي ،مكتبة ابن سينا ، القاهرة ،2013 م ، ط1.
- أحمد صدقي الدجاني ، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ،دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان،1967م، ط1.
- إسماعيل عمر علي ، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا ،1966م ،ط1.
- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي، دار الكتاب اللبناني، (د ب ن)، 1979م، (د ط).

- بروشين نيكولاي ايليتش ، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ، تر: د.عماد حاتم،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان،2001م، ط2.
- الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، مكتبة لأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1971م، ط1.
- رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، (د س ن)، (د ط).
- زيادة نكولا ، محاضرات في تاريخ ليبيا ، معهد الدراسات العربية العلية ،(د ب ن) ، 1958م ، (د ط).
- الصلابي علي محمد ، الحركة السنوسية في ليبيا دار البيارق ، الأردن ، 1999م ، ط1، ج1 .
- الصلابي علي محمد ، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، دار المعرفة ،بيروت ، لبنان، 2009م ، ط 3.
- الطويل احمد سعيد ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي (1795-1832م) ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،لبنان ، 2002م، ط1.
- عامر محمود علي و فارس محمد خير، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى وليبية)، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، (د س ن)، (د ط)، ج1.
- عبد المنصف حافظ البوري ، الغزو الايطالي لليبيا ، الدار العربية للكتاب ، (د ب ن)، 1983م ، (د ط).
- العقاد صالح، ليبيا المعاصرة، المطبعة الفنية الحديثة، (د ب ن)، 1970م، (د ط).
- لوثر ستودارد ، شكيب أرسلان ، تر: عجاج نواهض ،هامش حاضر العالم الإسلامي ، دمشق ، 1966م ، (د ط).
- محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير ، مطبعة محمد عاطف ، القاهرة ، (د س ن) ، (د ط).

- محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر ، بيروت ، 1948م ، (د ط).
- محمود حسين صالح منسي ، الحملة الايطالية على ليبيا ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، (د س ن) ، (د ط).
- محمود شاكر، ليبية، دار الدار العلمية، لبنان، 1972م، ط1.

المجلات:

- الحسناوي ظاهر محمد صكر ، الحرب السنوسية الفرنسية في الصحراء الكبرى (1837-1913م)،مجلة الأستاذ ، جامعة بغداد كلية التربية "ابن رشد العلوم الإنسانية" ، العدد 218، المجلد الأول لسنة ، 1437ه-2016م.
- الويشي عطية فتحي، العثمانيون بطرابلس الغرب :جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة، (958-1330ه /1551 -1912م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد140، خريف 2017م

المواقع الالكترونية:

- بتاريخ 8 أوت http://www.alukah.net/culturlo/o/120764 2018 على الساعة 17:00

الفهرس

فهرس الموضوعات :

- الشكر والتقدير.
- إهداء.
- مقدمة .
- المدخل

.....18-08

الفصل الأول: الظروف الداخلية والخارجية التي أدت إلى تنازل يوسف باش عن الحكم وسقوط الأسرة القرمانلية 1825-1835م.

- المبحث الأول: الظروف الخارجية.....20
- المبحث الثاني: الظروف الداخلية.....25
- المبحث الثالث: تنازل يوسف باشا عن الحكم لأبنه علي الثاني سنة 1832م.....34

الفصل الثاني: نهاية الأسرة القرمانلية والتدخل العثماني الثاني في طرابلس الغرب.

- المبحث الأول: الصراع بين علي باشا الثاني وأبناء أخية.....37
- المبحث الثاني: التدخل العثماني 43
- المبحث الثالث: المجابهة العسكرية بين الزعامات المحلية والولاة الأتراك 46

الفصل الثالث:طرابلس الغرب العثمانية بين التحديات الداخلية والضغوط الخارجية .

- المبحث الأول: التقارب العثماني السنوسي 59
- المبحث الثاني: الأطماع الايطالية وغزوها لليبيا.....80

خاتمـــة.....90

الملاحق .

قائمة المصادر والمراجع.

فهـــرس الموضـــوعات.